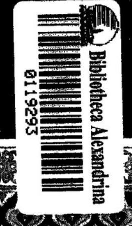
فقهاء الصحابة

عبد الله بن عباس

عبد العزيز الشناوي

مجدي



دار الفكر العربي

فقهاء الصحابة

١

عَبدُ اللهِ بن عَباس

ترجمان القرآن

تأليف

عبد العزيز الشناوي

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

مسح النبي عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة على رأس عبد الله بن عباس وقال :

— اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه تأويل الكتاب

ثم وضع يده الشريفة على صدره وقال :

— اللهم احش بجوفه حكمة وعلما .

قال الله تعالى : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فاستجاب الله عزوجل لدعوة نبيه إبراهيم وبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : إنى عند الله لخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك . . دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى بن مريم ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام .

قال عبد الله بن عباس : نحن أهل البيت شجرة النبوة ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم .

أدرك عبد الله بن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصره وهو غلام فتلقى فى حداثته مبادىء حياته من النبي عليه الصلاة والسلام الذى كان يعلمه الحكمة ويؤثره ويزكيه .

نسبه :

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى القرشي وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية .

مولده :

عرضت قريش على النبي عليه الصلاة والسلام المال فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء وقالوا :

— هذا لك عندنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء .

فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

— فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما هى ؟!

قالوا : تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة .

فأنزل الله عز وجل ﴿ قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ و ﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ﴾ فمشوا إلى عمه أبى طالب ومعهم عمارة بن الوليد وقالوا :

— يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش واجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك خير وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل برجل .

فقال أبو طالب : والله لبئس ما تسوموننى أتعطونى إبنك أغذوه لكم وأعطيكم إبنى تقتلوه ؟ هذا والله لا يكون أبدا .

فعزمت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علم أبو طالب ما عزم عليه أشراف قريش أمر بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخلوه شعب أبى طالب فلما رأت قريش أن النبى عليه الصلاة والسلام قد منعه قومه كتبوا كتاباً أجمعوا فيه على أن لاينكحوا بنى عبد المطلب وبنى هاشم ولاينكحوا إليهم ولايبيعوهم ولايبتاعوا منهم شيئاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وضربوا حصاراً حول شعب أبى طالب يمنعون من فيه من الخروج ويمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت عنهم الميرة والمادة وأصبح بنو هاشم وبنو عبد المطلب فى ضيق وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب وأكل بنو هاشم وبنو عبد المطلب حشاش الأرض وأوراق الشجر وذات يوم جاء العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان ما زال على دين قومه) فقال :

— يا محمد أرى أم الفضل (يعنى زوجته وقد كانت آمنت بالله ورسوله بعد إسلام أم المؤمنين خديجة بنت خويلد) قد اشتملت على حمل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الله أن يقرأ عينكم . لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام .

ووضعت أم الفضل مولوداً فى الشعب فطلبت من النبى عليه الصلاة والسلام أن يسميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله .

وحنكه النبى عليه الصلاة والسلام بريقه ولم يعترض العباس بن عبد المطلب على ذلك الاسم فقد كانت عواطفه مع ابن أخيه صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه . وكان مولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات .

وذاع فى قريش أن عبد الله بن العباس قد ولد فى الشعب ففرح أناس لذلك الهوان الذى نزل بالعباس بن عبد المطلب صاحب السقاية والرفادة والصيت العريض .

ووضع بنو هاشم وبنو عبد المطلب حجارة شدوها على بطونهم تخفيفاً لآلام الجوع . وأنبأ الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأرضة أكلت ولحست ما فى الصحيفة من ظلم وجور وقطيعة رحم . . فأخبر النبى عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب بذلك فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش .

فقال النضر بن الحارث : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم .

فقال أبو طالب : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله يكون بيننا وبينكم صلح .

فقالت قريش : لماذا ؟

قال أبو طالب : لقد أطلع الله محمدا على الذى صنع .

فقال أشراف قريش : ماذا أطلع إلـٰه محمد محمدا ؟

قال أبو طالب : إنما آتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نصف (عدل وحق) إن إبن أخى أخبرنى — ولم يكذبنى — أن الله برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم فسلط عليها الآرضة فاحست ماكان فيها من جور أو ظلم أوقطعية رحم وبقى فيها ما ذكر به الله فإن كان ابن أخى صادقاً فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا أو تنزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم .

فانطلق المطعم بن عدى وزمعه بن الأسود وهشام بن عمرو فأحضروا الصحيفة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر خبرها وأن الآرضة لحست كل ظلم وجور وقطيعة رحم . . .

فقال أشراف قريش : هذا من سحر محمد .

— والله إن كان هذا قط إلا سحر مبين من صاحبكم .

فقال العباس بن عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فإننا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم .

قال المطعم بن عدى وأبو البخترى وهشام بن عمرو وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود :

— نحن برءاء مما فى هذه الصحيفة .

فتساءل أبو طالب : علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟

فزق المطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية الصحيفة .. فدخل أبو طالب والعباس وشيوخ بنى عبد المطلب بين أستار الكعبة . . وقال أبو طالب :

— اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم علينا منا .

وانطلق أناس فيهم : المطعم بن عدى وهشام بن عمرو وأبو البخترى

بن هشام وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود فلبسوا السلاح . . ثم خرجوا إلى شعب أبي طالب ليخرجوا المحصورين فى حمايتهم . فلما دخل أبو طالب والعباس وشيوخ بنى هاشم الشعب قال العباس بصوته الجهورى :

— صدق ابن أخى . . ومزقت الصحيفة .

فارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير . . ثم خرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من شعب أبي طالب إلى دورهم .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وجحودها وتنكرها لكلمة الله ما رأى فعرض نفسه ودعوته على الوفود التى كانت تأتى مكة فى المواسم من مختلف القبائل فلم يستجب منهم أحد . . حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام وإنجاز ما وعده، فساقه إلى حى من الخزرج (كان أوس وخزرج يثرب يسمى حى الخزرج) أو الأنصار فلقيهم عند العقبة بمنى . . فاستجاب نفر منهم لله ولرسوله فآمنوا وصدقوا .

وفى العام التالى وفد على مكة اثنا عشر رجلا من الأنصار فاجتمعوا بالنبى عليه الصلاة والسلام وبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرفوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه فى معروف . . ثم انصرفوا إلى يثرب . . وبعثوا إلى النبى عليه الصلاة والسلام :

— إن الإسلام قد فشا فينا فابعث إلينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الإسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا فى صلاتنا .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم مصعب بن عمير . فلما دار العـــام دورته قدم إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الأنصار فلقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة . . وقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم .

فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . . ومر العباس بن

عبد المطلب بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو يكلم النقباء ويكلمونه فعرف صوت ابن أخيه صلى الله عليه وسلم فنزل وعقل راحلته ثم قال :

— يا معشر الأوس والخزرج هذا ابن أخى وهو أحب الناس إلى فإن كنتم صدقتموه وآمنتم به وأردتم اخراجه معكم فإنى أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسى ولا تخذلوه فإن جيرانكم اليهود وهم لكم عدو ولا آمن مكرهم عليه . . إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه وما نعوه ممن خلفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

وظل العباس بن عبد المطلب حتى بايع الأنصار النبى عليه الصلاة والسلام على حرب الأحمر والأسود وقتل الأشراف وعلى مصيبة الأموال .

هجرته :

اشتدت عداوة قريش ضراوة لما أيقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بايع الأنصار على أن يمنعوه فيما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنهم أصحاب قوة ومنعة وحلقة (سلاح) فجاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ما يلقون من اضطهاد قريش لهم فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

— إن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون بها .

وكان هذا أمراً لمن بمكة من المسلمين بالخروج إلى يثرب والهجرة إليها . فهاجر أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب . . ثم لحق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبقى فى مكة من أصحابه المستضعفون .. فكانت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب من المستضعفين من النساء وابنها عبد الله من الولدان وأبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب .

نشأ عبد الله بن عباس فى بيت ثراء وغنى فقد كان أبوه ذا مال وكان البيت يموج بالحياة والحركة لكثرة أطفاله فقد كانت أمه أم الفضل من

المنجبات وفشا فى هذا البيت الإسلام إذ سارعت أم الفضل إليه فكانت أول امرأة أسلمت بعد خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان النبى عليه الصلاة والسلام يزور عمه العباس ويقيل عنده وكان يحب أطفاله ويداعبهم فلما هاجر حرمهم من هذه الزيارات وتلك المداعبات والخير الكثير .

ولما كانت وقعة بدر أكرهت قريش العباس بن عبد المطلب على الخروج معها . . فقال النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

— انكم قد عرفتم أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا اكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ومن لقى أبا البخترى فلا يقتله .

والتقى الجمعان . . وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا . . وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد عمرو قال بأعلى صوته :

— قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش وأسر سهيل بن عمرو والعباس بن عبد المطلب وفلان وفلان (كان القتلى سبعين والأسرى سبعين) .

وكان صفوان بن أمية جالساً فى الحجر فلما سمع ذلك قال :

— والله إن يعقل (ما يعقل) هذا سلوه عنى .

فسألوه : ما فعل صفوان بن أمية ؟

فقال الحيسمان بن عبد عمرو وهو يشير نحو صفوان :

— هو ذاك الجالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه (على بن أمية) حين قتلا .

ففرحت أم الفضل وأولادها : عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وأم حبيب . . وغلامهم أبو رافع . . وأقبل أبو لهب بن عبد المطلب يجر وجليه بشر وجلس عند أم الفضل وبينما هو جالس إذ

قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان مع قريش فى بدر .

فقال أبو لهب : هلم إلى عندك الخبر يا ابن أخى .

فقال أبو سفيان بن الحارث : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا وأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مالمت الناس لقينا رجال بيض على خيل باق بين السماء والأرض والله ما يقوم لها شىء .
فقال أبو رافع : والله تلك الملائكة .

فرفع أبو لهب يده فضرب وجه أبى رافع ضربة شديدة وقام كل لآخر فاحتمله أبو لهب وضرب به الأرض ثم برك على أبى رافع فقامت أم الفضل إلى عمود وضربت به أبا لهب فى رأسه أثرت شجة منكرة وقالت :

— استضعفته أن غاب سيده (تعنى زوجها العباس) .

فقام مولياً ذليلا وقد أصيب بالعدسة (بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فتباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاولون دفنه فلما خافوا السبة أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه) .

وكان من بين أسرى بدر أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وطلب النبى عليه الصلاة والسلام من عمه العباس أن يفدى نفسه فقال صلى الله عليه وسلم :

— افد نفسك يا عباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عقبة بن عمرو فإنك ذو مال .

فقال العباس بن عبد المطلب : يارسول الله كنت مسلماً ولكن القوم استكرهونى .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : الله أعلم بإسلامك إن يكن ما قلت حقاً فإن الله يجزيك به وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافتد نفسك .

هل كان العباس بن عبد المطلب يومئذ مشركاً ؟ هل كان مسلماً حقاً ؟

هل قال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ليضلل قريشا ولا يفسد الدور الذى سيقوم به بعد ذلك فى مكة فيكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم عينا يكتب إليه بأخبار قريش ويقوى به من بمكة من المستضعفين ؟ لو كان مشركاً لماذا نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن قتله هو وأبى البخترى ؟ لقد أسلم العباس بن عبد المطلب وكتم إسلامه لأنه كان يهاب قومه ويكره خلافهم لأنه ذو مال كثير متفرق فى قومه وكان له عمارة المسجد الحرام فلا يدع أحداً فى المسجد يسب أحداً ولا يقول فيه فاحشاً من القول وكانت قريش أعواناً للعباس على ذلك .

قال الأنصار : ائذن لنا يا رسول الله فلنترك لابن أختنا عباس فداه (كان الأنصار أخوال العباس بن عبد المطلب لأن أمه نتيلة بنت خباب من الخزرج) .

وأفدى العباس نفسه ورجع إلى مكة ليكون عينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مشركاً يومئذ لفرق النبي عليه الصلاة والسلام بينه وبين زوجته أم الفضل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فرق بين أبى العاص بن الربيع وبين ابنته زينب حين أطلق سراحه فقد كان أبو العاص مشركاً وزينب مسلمة .

ولما تهيأت قريش للخروج لتثأر ليوم بدر طلبت من العباس بن عبد المطلب الخروج معها قال :

— أنسيتم ما أصابنى يوم بدر ؟

وبعث إلى ابن أخيه صلى الله عليه وسلم بكتاب مع رجل من غفار يخبره فيه بخروج قريش بحدها وجدها وأحابيشها لمحاربته حتى يتهيأ لقتالهم .

وكان عبد الله بن عباس يحفظ قصار السور مع أبى رافع غلام العباس بن عبد المطلب وكان يتحسس أخبار ابن عمه صلى الله عليه وسلم من الركبان القادمين من المدينة .

: ولما قدم نفر من يهود بني النضير مكة فحزبوا قريشا ثم خرجوا إلى قبائل العرب فحزبوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العباس بن عبد المطلب إلى النبي عليه الصلاة والسلام كتاباً يخبره بمقدم الأحزاب .. فحفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خندقاً عميقاً واسعاً حول المدينة ونصره الله بجنود لم يرها أحد (ريح الصفا والملائكة) .

وذات يوم كان عبد الله بن عباس عند الكعبة ينتظر مقدم ركبان من المدينة فيتحسس أخبار ابن عمه صلى الله عليه وسلم سمع أشراف قريش يتحدثون عن سير النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى حصون خيبر.

فقال بعضهم : إن محمدا سيذوق حنظل الهزيمة عند حصون خيبر .

وقالت طائفة أخرى : إن محمدا سيغلب أهل خيبر .

فصار جسد عبد الله بن عباس آذاناً صاغية فقد كان يستنشق أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووقع بين الفريقين مراهنة على مائة بعير .. وأقبل الركبان فلما رأى سادات قريش الحجاج بن علاط قالوا :

— هذا عنده والله الخبر .

وخفوا إليه وقالوا :

— أخبرنا يا حجاج فإنه قد بلغنا أن القاطع (يقصدون النبي عليه الصلاة والسلام) قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز .

قال الحجاج بن علاط : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم .

فقال سادات قريش في لهفة : إيه يا حجاج ؟

قال الحجاج بن علاط : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد وقال يهود خيبر : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم من أصاب من رجالهم .

وهم عبد الله بن عباس أن يصرخ فى وجه الحجاج بن علاط قائلا :
— كذبت والله فلن يخذل العلى القدير نبيه أبدا .

ولكنه خشى بطش سادات قريش وخيل إليه أن قلبه سقط فى ركبتيه . .
وراح ينظر إلى أشراف قريش الذين قاموا وصاحوا بمكة وقالوا :
— لقد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

فقال الحجاج بن علاط : أعينونى على جمع مالى بمكة على غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هناك .

فقام أشراف قريش فجمعوا له ماله كأحث جمع سمع به . وجاء الحجاج بن علاط صاحبته (امرأته) فقال لها :
— مالى لعلى ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار .

وأظهرت قريش الفرح والسرور . وانكسر من كان بمكة من المسلمين .
وانطلق عبد الله بن عباس إلى أبيه وأخبره بما سمع فبعث إلى الحجاج بن علاط غلاماً . . فقال الحجاج :
— اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له : ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عنى

فأقبل غلام العباس وقال : أبشر يا أبا الفضل .

فوثب العباس بن عبد المطلب فرحاً ونحى عنه مرضه الذى أصابه لما سمع الخبر . ووعد الغلام أن يعتقه لو كانت هناك بشارة . . وأردف :
— لله على عتق عشر رقاب .

ولم يستطع العباس بن عبد المطلب صبراً فخرج حيث كان الحجاج بن علاط فسأله وهو بجانبه هامساً :
— يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟

قال الحجاج بن علاط : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟

قال العباس بن عبد المطلب : فاستأخر عنى حتى أفرغ .

فلما فرغ الحجاج بن علاط من جمع كل شيء كان له بمكة وأجمع الخروج لقي العباس بن عبد المطلب فقال :

— احفظ على حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ما شئت فقال العباس بن عبد المطلب . أفعل .

قال حجاج بن علاط : إني أسلمت وإن لي مالا عند امرأتي وديناً على الناس ولو علموا بإسلامي لم يدفعوه إلى ولقد استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لي : قل .. وقد تركته عروساً بابنة ملكهم حيي بن أخطب .

ولما خرج حجاج بن علاط من مكة ومضت الثلاث عمد العباس بن عبد المطلب إلى حلة فلبسها وتخلق بخلوق (ضرب من الطيب) وأخذ بيده قضيباً وأخذ ابنه عبد الله بيده وأقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذ مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل .

— هذا والله التجلد لحر المصيبة .

فقال العباس بن عبد المطلب : كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني إلا خير بحمد الله . أخبرني حجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على يد رسول الله واصطفى نبي الله بنت ملكهم حيي بنت أخطب لنفسه وإنه تركه عروساً بها .

فقال سادات قريش في عجب : لماذا أخـــبرنا أن أهل خيبر قد غلبوا محمدا وأصحابه و . . ؟

قال العباس بن عبد المطلب : وإنما قال ذلك لكم ليخلص ماله وإلا فهو ممن أسلم وتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وكست وجوههم قطع من الليل المظلم وقالوا :

— انفلت عدو الله .

— أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .

فتبسم العباس ولم يستطع عبد الله بن عباس أن يكتم ضحكة شماتة ، وأعتق العباس غلامه وعشرة آخرين وفاء بالنذر .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين . « وأسرع العباس بن عبد المطلب إلى قبة ابن أخيه التى نصبها بالأبطح ليطفىء نار الشوق ويرى ابن أخيه جعفر بن أبى طالب وعليا ورجال بنى هاشم » « وحدث العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمنية برة بنت الحارث بن حزن الهلالية (خالة عبد الله بن عباس) فقد كانت حدثت أم الفضل بأمنيتها أن تكون زوجة للنبى عليه الصلاة والسلام ليكون لبنى هلال شرف مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نالت بنى تيم (عائشة بنت أبى بكر) وبنى عدى (حفصة بنت عمر) وبنى أمية (أم حبيبة بنت أبى سفيان) وبنى مخزوم (أم سلمة) و . . ذلك الشرف . فحدثت أم الفضل زوجها العباس . . فبعث النبى عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبى طالب إلى برة بنت الحارث ليخطبها . فلما خرج من عندها استخف بها الطرب فركبت بعيرها وانطلقت حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأته قالت :

— البعير وما عليه لله ورسوله .

فتحدث الناس عما فعلت برة بنت الحارث وأنها لم تستطع الانتظار فجاءت بنفسها تهب نفسها لله ولرسوله . . وقد سماها النبى عليه الصلاة والسلام ميمونة . ووجد عبد الله بن أبى بن ساول وأصحابه من المنافقين فرصة للغمز واللمز وبذر بذور الاستياء فى قلوب المسلمين فأنزل الله تعالى

« يا أيها النبى إنا أحللنا أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمنيك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيما » .

ولما رجع النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة كتب العباس بن عبد المطلب إليه يسأله أن يخرج مهاجراً فكتب إليه النبى عليه الصلاة والسلام :

— مقامك بمكة خير .

وخرج الفضل بن العباس وأخوه عبد الله وغلامهما أبو رافع مهاجرين فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده ففرح بمقدمهم .

ثم قدم خالد بن الوليد (ابن خالة عبد الله بن عباس) وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح النبى عليه الصلاة والسلام بإسلامهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فلما هم عليه الصلاة والسلام بغزو مكة بعث إلى عمه العباس سراً أن يخرج مهاجراً ليكون له الثواب الذى يستحقه بعد أن أدى للإسلام خدمات فى الخفاء فلم تعد هناك حاجة لأن يكون عينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصبح الفتح الأكبر قريباً وأنه لا هجرة بعد الفتح .

والتقى العباس بن عبد المطلب جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة فلقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً وقال له :

— هجرتك يا عم آخر هجرة أنت آخر المهاجرين كما أنى آخر الأنبياء .

وبعث العباس بن عبد المطلب زوجته أم الفضل وأبناءها : عبد الرحمن وقثم ومعبد وعبيد الله وأم حبيب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورجع العباس بن عبد المطلب مع ابن أخيه صلى الله عليه وسلم فشهد فتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف .

معلمو عبد الله بن عباس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول لابن عباس فلقد شاء الله عزوجل أن يعوض عبد الله بن عباس كثيراً مما فاته من الحكمة والعلم والخير فقد كان ينام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة خالته ميمونة بنت الحارث فكان يرى عن قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى جوف الليل ويسمع أذكاره وكيف يصلى المؤتم خلف الإمام . .

فذات ليلة قام النبي عليه الصلاة والسلام يصلى فتوضأ عبد الله بن عباس وقام على يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه فأداره عن يمينه فتتامت صلاته صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة . ثم اضطجع فنام حتى نفخ (كان صلى الله عليه وسلم إذا نام نفخ) . . ثم ارتفع صوت بلال بن رباح (مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

— حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يا رسول الله

فقال النبي عليه الصلاة والسلام فصلى ولم يتوضأ (لأن النوم لا يعد ناقضاً فى حق الأنبياء) وسمع عبد الله بن عباس النبي عليه الصلاة والسلام يقول فى دعائه :

— اللهم اجعل فى قلبي نوراً وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وعن يسارى نوراً وفوقى نوراً وتحتى نوراً وأمامى نوراً وخلفى نوراً واجعل لى نوراً

وأردفه (أركبه خلفه) رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابته أكثر من مرة عندما كان يذهب إلى مسجد قباء . وذات ليلة قام النبي عليه الصلاة والسلام يصلى فى هجعة الليل وكان عبد الله بن عباس ينام فى حجرة خالته ميمونة بنت الحارث فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى ربه قائلا :

— اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق . اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

وركب عبد الله بن عباس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابته يوماً فقال له النبي عليه الصلاة والسلام :

— يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه فاعمل لله تعالى بالرضى فى اليقين وأعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .

أدرك عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يلقى عليه ذلك القول لأنه ذو فطنة واستعداد عقلى يدفعه إلى طريق العلم والمعرفة . .

فلزم ابن عباس ابن عمه عليه الصلاة والسلام . . فخطبهم النبى صلى الله عليه وسلم يوماً حتى أسمع العواتق فى الخدور ينادى بأعلى صوته : يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته .

وصلى عبد الله بن عباس خلف النبى عليه الصلاة والسلام من آخر الليل فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حذاءه . . فلما انصرف قال عبد الله ابن عباس :

— وينبغى لأحد أن يصلى حذاءك وأنت رسول الله الذى أعطاك الله ؟

كان ابن عباس يحب ابن عمه صلى الله عليه وسلم ويجله ويوقره . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضع يــده الشريفة على رأس عبد الله بن عباس .

— اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين . اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل (تأويل الكتاب) .

ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدر ابن عباس وأردف :

— اللهم احش بجوفه حكمة وعلما .

فاستشعر عبد الله بن عباس برد كلمات النبي عليه الصلاة والسلام فى ظهره .

وسمع عبد الله بن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فقال :

— إن الحمد لله أحمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحس الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا يقسى قلوبكم فقد سماه الله خيرته من الأعمال والصالح من الحديث وعلى كل ما آوى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم إن الله يغضب أن ينكث عبده . . والسلام عليكم ورحمة الله .

وجلس عبد الله بن عباس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس بجانب أنس بن مالك خادم النبي عليه الصلاة والسلام فقيل :

— يا رسول الله من أهل الجنة ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : من لا يموت حتى يملأ أذناه مما يحب .

قالوا : من أهل النار ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لا يموت حتى يملأ أذناه مما يكره .

فقال على بن أبي طالب : يارسول الله ماعلامة المؤمن ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : ستة أشياء حسن ولكن فى ستة من الناس أحسن : العدل حسن ولكن فى الأمراء أحسن والسخاء حسن ولكن فى الأغنياء أحسن الورع حسن ولكن فى العلماء أحسن الصبر حسن ولكن فى

الفقراء أحسن التوبة حسن ولكن فى الشباب أحسن الحياء حسن ولكن فى النساء أحسن .

وخرج العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله يوماً فجلسا إلى قوم فقطوا حديث العباس بن عبد المطلب فذكر ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام فقال لأصحابه :

— ما بال أقوام إذا جاس إليهم أحد من أهل بيتى قطعوا حديثهم ؟ والذى نفسى بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبهم الله ولقرابتى (ولقرابتهم منى) .

ثم استطرد صلى الله عليه وسلم :

— إن الله عز وجل اختارنى فى ثلاثة من أهل بيتى على جميع أمتى : أنا سيد الثلاثة وسيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر اختارنى وعلى بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب كنا رقوداً بالأبطح ليس منا إلا مسجى بثوبه على عن يمينى وجعفر عن يسارى وحمزة عند رجلى فما نبهنى من رقدتى إلا حفيف أجنحة الملائكة وبرد ذراع على تحت خلدى فانتبهت من رقدتى وجبريل فى ثلاثة أملاك فقال له بعض الأملاك الثلاثة : يا جبريل إلى أى هؤلاء الأربعة أرسلت ؟ فضربنى برجله وقال : إلى هذا هو سيد ولد آدم فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : محمد بن عبد الله سيد النبيين وهذا على بن أبى طالب وهذا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وهذا جعفر له جناحان يطير بهما فى الجنة حيث يشاء .

ثم ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه عن فضل أهل البيت فقال :

— إن الله اصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم .

وأخذ عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ ضبط الأقوال والأفعال والأحوال .

وكان عبد الله عند خالته ميمونة بنت الحارث فقام النبي عليه الصلاة والسلام إلى سقاء فتوضأ وشرب قائماً فقال عبد الله بن عباس فى نفسه :

— والله لأفعلن كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم .

فقام وتوضأ وشرب قائماً . . ثم صف فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوازى به ويقوم عن يمينه فأبى عبد الله . فلما قضى صلاته تساءل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منعك أن تكون وازيت بى ؟

قال عبد الله بن عباس : يا رسول الله أنت أجل فى عينى وأعز من أوازى بك .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل (تأويل الكتاب) .

وذات يوم كان الفضل وعبد الله ابنا العباس وجابر بن عبد الله يجلسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— يكون من ولد العبـــاس ملوك يلون أمر أمتى يعز الله بهم الدين »

وبعث العباس بن عبد المطلب ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فذهب عبد الله إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام فرأى دحية الكلبي عنده فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل . فلقى العباس بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس :

— يارسول الله أرسلت إليك إبنى فوجد عندك رجلا فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ياعم تدرى من ذاك الرجل ؟

قال العباس بن عبد المطلب : لا ولكنه قال لى : إنه شبيه دحية الكلبي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل (كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية بن خليفة بن فروة الكلبي) وان تموت ابنك (عبد الله) حتى يذهب بصره ويؤتى علما .

وذهب عبد الله بن عباس وأبوه إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام، وعنده رجل يناجيه فخرج العباس فقال لابنه عبد الله : ألم أر ابن عمك كالمعرض عنى ؟

فقال عبد الله بن عباس : إنه كان عنده رجل يناجيه .

قال العباس بن عبد المطلب : أوكان عنده أحد ؟

قال عبد الله بن عباس : نعم .

فرجع العباس إلى النبى عليه الصلاة والسلام فسأله :

— يارسول الله هل كان عندك أحد آنفاً فإن عبد الله أخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك .

فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله: هل رأيته ياعبد الله؟

قال عبد الله بن عباس : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل عليه السلام وقال لى :

إنه كائن حبر هذه الأمة (يعنى عبد الله بن عباس) فاستوصى به خيرا . أما إنك ستصاب فى بصرك .

ثم ضم النبى عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عباس وقال :

— اللهم زده علما وفقها وعلمه تأويل القرآن . . نعم ترجمان القرآن أنت .

ففرح عبد الله بن عباس لقد دعا النبى عليه الصلاة والسلام له مرتين ورأى جبريل عليه السلام مرتين . وناهز ابن عباس الاحتلام لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون حاجاً حجة الوداع فقد أقبل عبد الله بن عباس راكباً على أتان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس بمنى إلى غير جدار فمر بين يدى بعض الصف ونزل وأرسل الأتان (الحمارة) ترتع ودخل فى الصف .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عبد الله بن عباس ابن ثلاث عشرة سنة وكان مختوناً (كانوا لا يختنون الغلام حتى يحلم (فدفعه

حرصه على إدراك الحقيقة والمعرفة فقال لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير .

فقال الأنصارى : واعجبنا لك يا ابن عباس . أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟

فترك عبد الله بن عباس ذلك الرجل وأقبل يسأل أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام عن الحديث والتفسير وعلم الدين .

سعيه إلى العلم :

اختار عبد الله بن عباس سبيل العلم واستقام عليه فكان ابن عباس إذا بلغه الحديث عن الرجل فينطلق إليه سعياً وذات يوم علم أن زيد بن ثابت الأنصارى عنده عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عبد الله بن عباس باب زيد بن ثابت وهو قائل (نائم فى الظهيرة) وتوسد عبد الله رداءه على بابه تسفى الريح عليه بالتراب فيخرج زيد بن ثابت فلما رأى عبد الله بن عباس قال فى عجب :

— يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فآتيك ؟

فيقول عبد الله بن عباس : لا أنا أحق أن آتيك .

ويسأله عبد الله بن عباس عن الحديث .

وكان يأتى باب أبى بن كعب الأنصارى (كان من الراسخين فى العلم) وهو نائم (لو علم أن ابن عباس ببابه لأحب أن يوقظ لقرابة عبد الله بن عباس من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولكن عبد الله كان يكره أن يعمله . وكان يسأل أبى بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال أبى بن كعب :

— نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة .

وكان عبد الله بن عباس يكتب ما يقوله أبى بن كعب على ألواح معه كل شيء من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبدالله بن عباس يلزم أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار ويسأله عن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن فى ذلك وكان لا يأتى أحداً منهم إلا سرور حب بإتيانه لقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسأل من الأمر الواحد من ثلاثين من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فربت (نمت) حكمته وحصافته فصار اللقن المعلم والفطن والفهم فخر الفخار وبدر الأحبار وقطب الأفلاك وعنصر الأملاك السحر الزخار والعين الخرار مفسر التأويل ومبين التأويل المفرس الحساس ومكرم الجلاس ومطعم الإناس حبر هذه الأمة ومفسر كتاب الله وترجمانه فله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله فقد أخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة والأصالة والبيان فقد .

١ — اجلاله للعلماء :

ركب زيد بن ثابت الأنصارى يوماً راحلته فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال زيد :

— لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد بن ثابت : أرنى يدك .

فأخرج عبد الله بن عباس يديه . . فقبلهما زيد بن ثابت وقال :

— هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وعلم عبد الله بن عباس أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يصل ويزور الربيع بنت معوذ بن عفراء فأسرع إليها وقال لها :

— جئت أسألك عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالت الربيع بنت معوذ بن عفراء :

— كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلنا ويزورنا وكان يتوضأ فى هذا الأناء أو فى مثل هذا الأناء وهو نحو من مد (يكون مدا أو مدا وربعا) فكان يبدأ بغسل يديه قبل أن يدخلهما الإناء ويمضمض ثلاثاً

ويستنشق ثلاثا ثم يغسل وجهه ثلاثا ثم يغسل يديه ثلاثا ثم يمسح برأسه مقبلا ومدبرا مرتين ويمسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما ويغسل قدميه ثلاثا ثلاثا .

وألقت بحار الأحداث الكبرى التي تفجرت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة وردة كثير منها وادعاء مسيلمة بن حبيب والأسود وطليحة بن خويلد النبوة و ... بابن عباس إلى شاطىء السعي في طلب العلم وتحصيل مافاته من الحكمة والنور والسنة النبوية الشريفة بسبب تأخر هجرته إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحداثة سنه . . فاغترف من بحر ابن عمه علي بن أبي طالب فعلمه الفقه والصرف والشعر وكان يسأل عمر بن الخطاب عن كثير من الأحاديث وتفسير بعض آيات الذكر الحكيم .

وظل عبد الله بن عباس مثابراً على تحصيل العلم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تستطع مغريات الفتوحات المادية أن تجذب ابن عباس إلى الخروج إلى الشام أو العراق أو مصر فكان زاهداً في زخارف الدنيا ليس كباقي الشباب من أقرانه بل كان كل همه أن يروي ظمأه من بحاره العلم والمعرفة والحكمة .

في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

فطن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذكي الورع الذي نزل القرآن الكريم مؤيداً له في أكثر من موقف لنبوغ وذكاء عبد الله بن عباس فجعله في مجلس شورته رغم حداثة سنه (رغم أن هذا المجلس يضم كبار الصحابة من شيوخ بدر فقد رأى الفاروق عمر أن ابن عباس قد تخطى أقرانه من الشباب بفطنته وفكره وعبقريته) . وكان عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ويقول له :

— يا ابن عباس عندك قد جاءتك معضلة .

ثم يأخذ بقول ابن عباس . . ويبعث إليه فيقول :

— يا ابن عم رسول الله إنها قد طرت علينا أقضية وعضل فأنت لها ولأمثالها .

ولا يجاوز قوله . . وكان عمر بن الخطاب لا يبخل عليه بعلم يعلمه .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول عن ابن عباس :

— ابن عباس فتى الكهول له لسان قئول وقلب عقول .

واعترض بعض الصحابة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم خص به عبد الله بن عباس دون سائر أبناء سائر الصحابة من أقرانه فقال شيوخ المهاجرين والأنصار :

— يا أمير المؤمنين ألا تدعونا كما تدعو ابن عباس ؟

— لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله نحن أشياخ بدر ؟

فقال أمير المؤمنين عمر : إنه ممن قد علمتم .

ثم فكر أمير المؤمنين فى أسلوب عملى يبين لهم عبقرية ومواهب ابن عباس التى تؤهله لمجالسة الشيوخ من الصحابة وأصحاب الرأى . . فدعاهم يوماً إلى مجلسه وبعث إلى عبد الله بن عباس . . ثم تساءل أمير المؤمنين :

— ما تقولون فى قوله تعالى : « **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** » .؟

فقال بعض الصحابة : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا .

وقال بعضهم : لا ندرى .

وسكت بعضهم . . فقال أمير المؤمنين عمر لعبد الله بن عباس : يا ابن عباس كذلك تقول ؟

قال عبد الله بن عباس : لا

فتساءل أمير المؤمنين عمر : فما تقول ؟

قال عبد الله بن عباس : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إليه (أعلمه الله) « إذا جاء نصر الله والفتح » فتح مكة .

فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول (إلا ما تعلم) .
ثم أردف أمير المؤمنين عمر : كيف تلومونني عليه بعد ما ترون ؟
فسكت أشياخ بدر . فتبسم عمر بن الخطاب وكأنه اكتفى بذلك ليرى بعضهم منه .

وجلس عمر بن الخطاب مع رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فذكروا ليلة القدر فتكلم منهم من سمع فيها بشيء مما سمع فتراجع القوم فيها الكلام فنظر أمير المؤمنين عمر نحو عبد الله بن عباس وتساءل :

— مالك يا بن عباس صامت لا تتكلم ؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة (حداثة سنك) .

فقال عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع . وخلق الإنسان من سبع . وخلق أرزاقنا من سبع . وخلق فوقنا سموات سبعا . وخلق تحتنا أرضين سبعا . وأعطى من المثانى سبعا . ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع . وقسم الميراث فى كتابه على سبع . ونقع فى السجود من أجسادنا على سبع . وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعا . وبين الصفا والمروة سبعا . ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله مما ذكر فى كتابه . . فأراها فى السبع الأواخر من شهر رمضان . . والله أعلم .

فتعجب عمر بن الخطاب وقال : ما وافقنى فيها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الغلام الذى لم تستوشؤون رأسه . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : التمسوها فى العشر الأواخر .

ثم قال عمر بن الخطاب لأصحابه : يا هؤلاء من يؤدينى فى هذا كأداء ابن عباس ؟

ودخل عبد الله بن عباس على أمير المؤمنين عمر يوماً فسأله عن مسألة كتب إليه بها يعلى بن أمية (استعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن) من اليمن . . فأجابه عبد الله بن عباس فقال عمر : أشهد أنك تنطق عن بيت النبوة .

وذات يوم دخل على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس على عمر فطلب من أبى الحسن أن يوصيه .

فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين إذا سرك تلحق بصاحبيك (النبى عليه الصلاة والسلام وأبى بكر) فاقصر الأمل وكل دون الشبع واقصر الأزار وارفع القميص واخصف النعل تلحق بهما .

ومشى ابن عباس وعمر بن الخطاب فى بعض أزقة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر :

— يا ابن عباس أظن القوم استصغروا صاحبكم أن لم يولوه أموركم (يقصد على بن أبى طالب) .

فقال عبد الله بن عباس : والله ما استصغره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اختاره لسورة براءة يقرأها على أهل مكة .

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : الصواب تقول والله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى بن أبى طالب : من أحبك أحبنى ومن أحبنى أحب الله ومن أحب الله أدخله الجنة مدلا .

ونذر رجل ألا يأكل مع بنى أخ له يتامى ثم لقى ابن عباس فأخبره فقال له :

— اذهب فكل معهم .

ولكن الرجل لقى أمير المؤمنين عمر فسأله قال له :

— اذهب فكل معهم .

قال عمر بن الخطاب لمن معه : اخرجوا بنا إلى أرض قومنا .

فخرجوا فكان عبد الله بن عباس وأبى بن كعب (أبو المنذر) فى مؤخر الناس فهاجت سحابة فقال أبى بن كعب :

– اللهم اصرف عنا أذاها .

فلحقا القوم وقد ابتلت رحالهم فقال أمير المؤمنين عمر :

– أما أصابكم الذى أصابنا ؟

قال عبد الله بن عباس : إن أبا المنذر (أبى بن كعب) دعا الله أن يصرف عنا أذاها .

قال أمير المؤمنين عمر : ألا دعوتم لنا معكم ؟

وذات ضحى جلس عمر يفكر كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ ثم بعث إلى عبد الله بن عباس فأقبل ولما أخبره بما دار فى رأسه قال :

– يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمناه وعلمنا فيما نزل وانه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأى .

فقال عمر بن الخطاب : صدقت يا ابن أخى .

وسأل عمر بن الخطاب ابن عباس :

– أرأيت لوكنت القاضى والوالى ثم أبصرت إنساناً على حد أكنت مقيماً عليه (أى مقيم الحد) ؟

قال عبد الله بن عباس : لا حتى يشهد غيرى .

فقال عمر بن الخطاب : أصبت ولو قلت غير ذلك لم تجد .

وهكذا ترسخت مكانة عبد الله بن عباس فى نفس عمر وأصبح صاحب الحظوة عنده .

وكان عمر بن الخطاب إذا رأى عبد الله بن عباس يقول :

– ذاكم فتى الكهول إن له لساناً سؤولا وقلباً عقولا . أعلمنا ابن عباس .

ثم يضع يده على كتفه ويقول :

– لقد علما ما علمناه . إنك لأصبح فتياننا وجهاً وأحسنهم عقلاوأنهمهم فى كتاب الله عز وجل .

ولما رأى العباس بن عبد المطلب مكانة ابنه عند أمير المؤمنين عمر قال له :

— أى بنى إنى أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عنى ثلاث خصال : اتق الله لا يجربن عليك كذبة ولا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا .

فقال رجل لابن عباس : كل واحدة خير من ألف .

قال عبد الله بن عباس : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

ومرض عبد الله بن عباس فمشى أمير المؤمنين عمر إليه يعوده وهو يحم فقال عمر :

— أخل بنا مرضك فالله المستعان .

ونظر أبو عمرو بن العلاء إلى ابن عباس فى مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتساءل :

— من هذا الذى برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه ؟

فقالوا : عبد الله بن عباس .

فقال عمرو بن العلاء :

إنى وجدت بيان المرء نافلة ... تهدى له ووجدت العى كالصمم
والمرء يفنى ويبقى سائر الكلم ... وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم

وقال حسان بن ثابت (شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيت له فى كل أحواله فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس فلم يدع ... لذى اربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة ... فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا
خلقت خليقاً للمودة والندى ... فليجاً ولم تخلق كهاماً ولاجهلا

وسأل عبد الله بن عباس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم » .

فقال عمر بن الخطاب : كان رجال من المهاجرين فى أنسابهم شىء فقالوا يوماً : والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً فى نسبنا فأنزل الله ما قرأت .

ثم قال أمير المؤمنين عمر : إن صاحبكم هذا (يعنى على بن أبى طالب) إن ولى زهد ولكن أخشى عليه عجبه بنفسه أن يذهب به .

فقال عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت والله ما تقول : إنه ما غير ولا بدل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام صحبته ولا بنت أبى جهل وهو يريد أن يخطبها على فاطمة وقد قال الله عز وجل فى معصية آدم « ولم نجد له عزما » فصاحبنا لم يعزم على اسخاط رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الخواطر التى لم يقدر أحد دفعها عن نفسه وربما كانت من الفقيه فى دين الله العالم بأمر الله فإذا نبه عليها رجع وأناب .

فقال عمر بن الخطاب : يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقط ظن عجزا . وكان عمر بن الخطاب يستشير عبد الله بن عباس فى الأمر إذا أهمه ويقول لابن عباس :

— غص غواص .

فيفتى عبد الله بن عباس فيأخذ أمير المؤمنين برأيه .

وقدم على عمر بن الخطاب رجل فسأله عن الناس فقال :

— قرأ منهم القرآن كذا وكذا .

وكان ابن عباس حاضرا فقال :

— ما أحب أن يسأل عن أى القرآن .

فغضب عمر بن الخطاب وزبره (زجره ونهاه) فانطلق إلى منزله وقال :

— ما أرانى إلا قد سقطت من نفسه .

وبينا هو كذلك إذ جاءه رجل فقال :

— أجب أمير المؤمنين .

فأخذ عمر بن الخطاب بيد عبد الله بن العباس وخلا به وسأله :

— ماكرهت مما قال الرجل ؟

قال عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فاستغفر الله .

قال عمر بن الخطاب : لتحدثنى .

قال ابن عباس : إنهم متى تنازعوا اختلفوا ومتى اختلفوا اقتتلوا .

فقال أمير المؤمنين عمر : لله أبوك لقد كنت أكتمها للناس .

وأمر عمر بن الخطاب بضرب رجلين فجعل أحدهما يقول : (بسم الله) والآخر يقول : (سبحان الله) .

فقال عمر بن الخطاب : ويحك خفف عن المسبح فإن التسبيح لا يستقر إلا فى قلب مؤمن .

ورأى عمر بن الخطاب رجلا يسبح بمسابح فنظر نحو على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وقال :

— إنما يجزيه من ذلك أن يقول : سبحان الله ملء السماوات وملء الأرض وملء ماشاء من شىء بعد ، ويقول : الحمد لله ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء من شىء بعد ويقول : الله أكبر ملء السموات والأرض وملء ما شاء من شىء بعد .

ثم تساءل عمر : يا أبا الحسن قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله فما الحمد لله ؟

فقال على بن أبى طالب : كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال .

فقال عبد الله بن عباس : لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب .

فتساءل أمير المؤمنين عمر : ما هذا ؟

قال عبد الله بن عباس : هكذا أقرأنيها أبى بن كعب .

فبعث عمر بن الخطاب إلى أبى بن كعب الأنصارى فجاء فسأله عمر عما قرأ ابن عباس فقال أبى بن كعب :

— هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال لى يوماً : إن الله

أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه لم يكن وقرأ عليه إن ذات الدين عند الله الحنيفية لا المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقرأ عليه لوكان لابن آدم واد لابتغى إليه ثانياً ولو أعطى إليه ثانياً لابتغى إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (منسوخ من القرآن)

ثم أردف أبى بن كعب :

— يا أمير المؤمنين كنا نرى هذا من القرآن فى عذاب القبر حتى نزلت « الهاكم التكاثر » .

وذات يوم كان عمر يجلس وحوله بعض الصحابة فقال :

— يا أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر « حم . عسق » ؟

فوثب عبد الله بن عباس وقال :

— حم إسم من أسماء الله تعالى .

فتساءل عمر بن الخطاب : فعين ؟

قال ابن عباس : عاين المشركون عذاب يوم بدر .

فقال أمير المؤمنين عمر : فسين ؟

قال عبد الله بن عباس : سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

فقال عمر بن الخطاب : فقاف ؟

فجلس ابن عباس وسكت . . فقال عمر بن الخطاب :

— أنشدكم بالله هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر حمعسق ؟

فوثب أبو ذر الغفارى فقال : حم إسم من أسماء الله عز وجل .

فقال عمر بن الخطاب : عين ؟

قال أبو ذر الغفارى : عاين المشركون عذاب يوم بدر .

فتساءل أمير المؤمنين عمر : فسين ؟

قال أبو ذر الغفارى : فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »
فعاد عمر يتساءل : فقاف ؟

قال أبو ذر الغفارى : قارعه من السماء تصيب الناس »

ثم قال عمر بن الخطاب : قرأت الليلة آية أسهرتنى :

قالوا : ما هى يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر بن الخطاب : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ما عنى ؟

فقال بعض القوم : الله أعلم .

فقال أمير المؤمنين عمر : إنى أعلم أن الله أعلم ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم فيها بشىء أن يخبر بما سمع ؟ فسكت القوم . ورأى أمير المؤمنين عمر عبد الله بن عباس وهو يهمس فقال له :

— قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك »

فقال ابن عباس : عنى بها العمل .

قال عمر بن الخطاب : وما عنى بها العمل ؟

قال عبد الله بن عباس : قلت شىء ألقى فى روعى فقلته .

فتركه وأقبل هو يفسرها . . ثم قال :

— صدقت يا ابن أخى عنى بها العمل ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه وكثرت عياله وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة صدقت يا ابن أخى .

وكان عبد الله بن عباس يريد أن يسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن قوله عز وجه « وإن تظاهرا عليه » ولكنه كان يهابه فلما خرج عمر بن الخطاب حاجاً ومعه أزواج النبى عليه الصلاة والسلام وعبد الله بن عباس فلما انتهوا إلى مر الظهران (قرية تسمى من الظهران وهى قريبة من مكة) فدخل أمير المؤمنين عمر الأراك (أشجار يصنع منها السواك) ليقضى حاجته فقعد له ابن عباس حتى خرج فقال له :

— يا أمير المؤمنين أريد أن أسألك عن حديث منذ سنة فتمنعني هيبتك أن أسألك .

فقال عمر بن الخطاب : لا تفعل إذا علمت أن عندى علماً فسلني .

قال عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي اللتان قال الله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ؟

فقال عمر بن الخطاب : واعجبا يا ابن عباس ما تسأل عنها أحداً أعلم بذلك مني هما حفصة (بنت عمر) وعائشة بنت أبي بكر .

كنا في الجاهلية لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في شيء من أمورنا فلما جاء الإسلام أنزلهن الله حيث أنزلهن وجعل لهن حقاً من غير أن يدخلهن في شيء من أمورنا فلما قدمنا المدينة تزوجنا من نساء الأنصار فجعلن يكلمننا ويراجعننا وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يوماً على امرأتي فقمت إليها بقضيب فضربتها به فقالت : واعجبا يا ابن الخطاب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمه نساؤه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل واعتزل النبي نساءه فدخلت المسجد فإذا الناس ينكثون بالحصى ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فدخلت على عائشة فقلت : يا بنت أبي بكر قد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : مالي ولك يا ابن الخطاب ؟ عليك بعيبتك فدخلت على حفصة فقلت : يا حفصة قد بلغ من شأنك أن تؤذي النبي عليه الصلاة والسلام ؟ فبكت فقلت لها : ما يبكيك ؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ؟ إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمته فيك . فبكت أشد البكاء فقلت لها : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت في المشربة فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً على أسكفة المشربة مدلياً رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر فناديت : يا رياح استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الغرفة ثم

نظر إلى فلم يقل شيئاً فقلت : يا رباح استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الغرفة ثم إلى فلم يقل شيئاً فرفعت صوتى : يا رباح استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنى أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أنى جئت من أجل حفصة والله لئن أمرنى بضرب عنقها لأضربن عنقها فأومى إلى بيده فجلست فإذا عليه إزار ولبس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر فى جنبه فنظرت فى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها من قرظ وفى ناحية الغرفة فإذا فيق (اسم اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين) معلق فابتدرت عيناى فقال صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت يا نبى الله ومالى لا أبكى؟ وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ؟ وذاك قيصر وكسرى فى الثمار والأنهار وأنت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك ؟ .

فقال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى . ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى فى وجهه الغضب فقلت : يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وكل ما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت الله بصدق قولى الذى أقوله . ونزلت هذه الآية «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً منكن» و «وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا» وكانت عائشة وحفصة تظاهران على نساء النبى عليه الصلاة والسلام فقلت : يا رسول الله طلقتهن قال : لا قلت يا رسول الله إنى دخلت المسجد والمسلمون ينكثون بالحصى ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل أخبرهم أنك لم تطلقهن ؟ قال : نعم إن شئت ثم لم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر وضحك وكان أحسن الناس ثغرا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت أتشبث بالجذع ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشى على الأرض ما يمسه بيده فقلت : يارسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنت فى هذه الغرفة تسعا وعشرين فقال : إن

الشهر قد كان تسعا وعشرين فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم » فكنت أنا استبطنت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها » .

وبينما ابن عباس جالس فى الحجر أتاه رجل فسأله عن العاديات ضبحا فقال عبد الله بن عباس :

— الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم .

فانفلت الرجل عنه وذهب إلى على بن أبى طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال على : سألت أحداً قبلى ؟

قال الرجل : نعم سألت عنها ابن عباس .

فقال على بن أبى طالب : هى الخيل حين تغير فى سبيل الله .

ثم قال للرجل : اذهب فادعه لى .

فلما وقف عبد الله بن عباس عند سقاية زمزم قال على :

— والله إن كانت لأول غزوة فى الإسلام لبدر ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات ضبحا ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة ومن المزدلفة إلى منى وأوروا النيران . ثم كان من الغد المغيرات ضبحا من المزدلفة إلى منى فذلك جمع وأما قوله « فأثرن به نقعا » فهو نقع الأرض (التراب) حين تطأه بخفافها .

فنزع ابن عباس عن قوله ورجع إلى الذى قال على بن أبى طالب ،

ولما نظرت أم المؤمنين عائشة إلى ابن عباس ومعه الناس ليالى الحج وهو يتحدث عن المناسك قالت : : هو أعلم من بقى بالمناسك .

ورأت أم سلمة الخلق يحيطون بعبد الله بن عباس فقالت : هو أعلم من بقى .

وسأل عبد الله بن عباس أمير المؤمنين عمر عن سورة التوبة فقال عمر بن الخطاب :

— هى إلى العذاب أقرب ما أقلعت عن الناس حتى ماكادت تدع منهم أحدا .

وخدم عبد الله بن عباس أمير المؤمنين خدمة لم يخدمها أحد من أهل بيته ولطف به لطفاً لم يلطفه أحد من أهله . . وذات يوم انفرد عبد الله ابن عباس بعمر بن الخطاب فى بيته وكان يجالسه ويكرمه فشهق أمير المؤمنين شهقة ظن ابن عباس أن نفسه سوف تخرج منها فتساءل :

— أمن جزع يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر بن الخطاب : من جزع .

فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ما أخرج هذا منك إلا شر .

فقال أمير المؤمنين عمر : شر والله إنى لا أدرى إلى من أجعل هذا الأمر بعدى ؟

ثم التفت إلى عبد الله بن عباس وتساءل :

— لعلك ترى صاحبك (يقصد على بن أبى طالب (لها أهلا ؟

فقال عبد الله بن عباس : إنه لأهل ذلك فى سابقته وفضله .

قال عمر بن الخطاب : إنه لكما قلت ولكنه امرؤ فيه دعابة (مزاح) .

فقال عبد الله بن عباس : فأين أنت عن طلحة (ابن عبد الله) ؟

قال أمير المؤمنين عمر : ذاك امرؤ لم يزل به بأو (البأو الكبر والتعظيم) منذ أصيبت أصبعه (بترت يوم أحد) .

فقال ابن عباس : فأين أنت عن الزبير بن العوام ؟

قال عمر بن الخطاب : وعقه (الوعقه الذى يضجر ويتبرم) لقس (القس السيء الخلق وقيل الشحيح) يلاطم على الصاع بالبقيع ولو منع منه صاع من تمر تأبط عليه بسيفه .

قال عبد الله بن عباس : فأين أنت عن سعد (ابن أبي وقاص) ؟

قال أمير المؤمنين : فارس الفرسان .

فتساءل ابن عباس : فأين أنت عن عبد الرحمن بن عوف ؟

قال عمر بن الخطاب : نعم المرء ذكرت على الضعف .

فقال عبد الله بن عباس : فأين أنت عن عثمان بن عفان ؟

قال عمر بن الخطاب : كلف بأقاربه والله لو وليته لحمل بني معيط على رقاب الناس والله لو فعلت لفعل ولو فعل لسارت العرب حتى تقتله إن هذا الأمر لا يصلحه إلا الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف الجواد في غير سرف الممسك في غير بخل ،

فقال عبد الله بن عباس : ما اجتمعت هذه الخصال إلا في عمر بن الخطاب .

وطعن أبو لؤلؤة — فيروز — المجوسي امير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يصلي صلاة الصبح في المحراب فحمل الناس عمر بن الخطاب إلى فراشه فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس . .

فقال عبد الله بن عمر : سمعت الناس يقولون مقاله ،

قال أمير المؤمنين عمر : ما هي ؟

قال عبد الله بن عمر : زعموا أنك غير مستخلف ،

فقال عمر بن الخطاب : إن الله عز وجل يحفظ دينه وإني إن لاأستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف .

في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان :

لما ولى عثمان بن عفان الخلافة تذكر عبد الله بن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن مر وإذا عثمان يبكى على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه صاحباه أبو بكر وعمر فسأله : ما يبكيك يا عثمان ؟ قال : أبكى يرسول الله أنه انقطع صهرى منك قال النبي عليه الصلاة والسلام : لا تبك والذى نفسى بيده لو أن عندى مائة بنت تموت

واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء هذا جبريل أخبرني أن الله عز وجل أمرني أن أزوجك أختها رقية وأجعل صداقها مثل صداق أختها .

وكان عبد الله بن عباس قد لفت أنظار الناس بما له من فكر صائب وعقل راجح وعلم زاخر وفطنة إلى بواطن الحكمة ومداخل إلى التفسير فبرزت مكانته العلمية مما جعل أمير المؤمنين عثمان يعتمد عليه وخاصة بعد موت كثير من كبار الصحابة . فأدخله أمير المؤمنين عثمان فى مجلس شورته كما فعل الفاروق عمر من قبل . وكان ما يؤخذ على ذى النورين (كان عثمان يسمى ذا النورين لأنه تزوج رقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) إيثاره ذوى قرابته بمناصب الدولة على فساد فيهم وبعد عن الاستقامة عرف عن بعضهم فعزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن أبى سرح (كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة) ثم أمره بغزو أفريقيا سنة خمس وعشرين من الهجرة فخرج عبد الله بن عباس معه . وهزم جيش المسلمين جيش الروم وأسروا ابنة ملكهم جرجير . . وتحدث عبد الله ابن عباس معه وأعجب بحديثه ومنطقه وغزارة علمه فقال :

— ما ينبغى إلا أن تكون حبر العرب (الحبر العالم الصالح) .

فكان الملك جرجير أول من أطلق على ابن عباس لقب حبر العرب .

وكان عبد الله بن عباس مخلصاً مطيعاً لأمير المؤمنين عثمان وكان ناصحاً له فاستعمله أميراً على الحج فى بعض المواسم .

وماتت لبابة بنت الحارث أم الفضل أم عبد الله بن عباس فحزن عليها حزناً شديداً وصلى عليها أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذى كثر فى عهده المال فداخل الفساد بعض النفوس فأبطرها وأغراها بالتمرد فكثر الناقمون على الخليفة السمح الكريم وكان هؤلاء من أهل الأمصار وشراذم من القبائل وجفاة الأعراب وكلهم من حديثى الإسلام .

ومات العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع

عشرة خلت من رجب سنة اثنين وثلاثين من الهجرة فلما سمع أهل العوالى بالمدينة منادياً ينادى :

— رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب .

فأدركوا أن العباس بن عبد المطلب قد مات فخرج الناس وصلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان وشيعه الناس فى أعداد هائلة لم تشهد المدينة مثلها ودفن عل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البقيع . وحزن عبد الله ابن عباس على أبيه حزناً شديداً فقال له أعرابى :

اصبر نكن بك صابرين فإنمــا صبر الرعية بعد صبر الرأس
خير من العباس صبرك بعــده والله خير منك للعبــاس

وعسكر الثائرون من أهل الكوفة والبصرة ومصر خارج مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطالبوا أمير المؤمنين بالاستقالة واتهموه أنه خالف سنة الشيخين أبى بكر وعمرو أساء السيرة فى الحكم وغاب الهوى على العقل والحكمة .

ولزم عبد الله بن عباس باب أمير المؤمنين عثمان لما حاصر المتمردون دار عثمان ولكنه أشرف على الناس وقال : يا عبد الله بن عباس .

فقال عبد الله بن عباس : هانذا يا أمير المؤمنين .

فقال عثمان بن عفان : اذهب أنت على الموسم .

فقال عبد الله بن عباس : والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلى من الحج .

فأقسم أمير المؤمنين عثمان لينطلق . . فخرج عبد الله بن عباس على الموسم فى هذه السنة وأقام عبدالله بن عباس مناسك الحج فى هذا العام وكان يخطب فيفتتح سورة البقرة فجعل يقرؤها ويفسرها آية آية . . فلما سمعه أبو وائل شقيق بن سلمة قال :

— ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والروم لأسلمت .

وقال كعب الأحبار (كان يهودياً وأسلم) لعكرمة فتى ابن عباس :

ـ مولاك ربانى هذه الأمة هو أعلم من مات ومن عاش .

وبعد أن انتهى موسم الحج خرج عبد الله بن عباس من مكة فلما بلغ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الثائرين قد قتلوا أمير المؤمنين عثمان بن عفان منذ خمسة أيام .

فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب :

كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تمور وتفور بالثائرين ومن معهم من الأعراب عقب مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكان زمام الأمر بيد زعيم الثائرين الغافقى بن حرب وغيره من أولئك الذين لطخت أيديهم بدم عثمان بن عفان . وعرضت البيعة والخلافة على كبار الصحابة فأجمعوا عنها مخافة أن يصيبهم ما أصاب عثمان . فلما رجع عبد الله ابن عباس من مكة عمد إلى دار على بن أبى طالب فقد كان يحترم ابن عمه ويجله ويوقره فقد تعلم على يديه علوم القرآن وفضلا على ذلك فعلى من كبار شيوخ بنى هاشم وزوج الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رأى عبد الله بن عباس من على بن أبى طالب ميلا لقبول الخلافة فأشار ابن عباس عليه ألا يقبل بيعة ولا خلافة فتساءل على : ولم ؟

قال عبد الله بن عباس : حتى لا تتهم بدم عثمان .

ونصح عليا أن يترك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على ابن أبى طالب : أين أذهب ؟

قال عبد الله بن عباس : إلى أرضك بينبع . . أطعنى وأدخل دارك والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك دم عثمان غداً . ولكن على بن أبى طالب ضرب بنصيحة ابن عباس عرض الحائط وقبل الخلافة لقد كان يرى أن ترك الأمة الإسلامية بدون خليفة يجعل المسلمين كالغنم فى الليلة الشاتية .

ولما بايع الناس أمير المؤمنين على بن أبى طالب تمرد معاوية بن أبى

سفيان على على واتهمه بدم ابن عمه عثمان بن عفان . . فقرر أمير المؤمنين على نزع معاوية عن ولاية الشام ولكن عبد الله أشار على ابن عمه على مرة ثانية وقال له :

— بل ثبته عليها (على ولاية الشام) حتى تأخذ البيعة منه وتهدأ الأمور . . ثم اعزله .

ولكن أمير المؤمنين على بن أبي طالب أصر على عزله . . فقال عبد الله بن عباس ناصحاً :

— إن أحببت عزله فوله شهراً واعزله دهرا .

ولم يأخذ أمير المؤمنين على للمرة الثانية برأى ابن عباس . . وقال :

— لا والله لا أعطيه إلا السيف بالحرب .

فقال عبد الله بن عباس : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بأرب (الأرب : الداهية كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة) العرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحرب خدعة ؟

فقال أمير المؤمنين على : بلى .

قال ابن عباس : أما والله لئن أطعتنى لأصدرن بهم بعد ورد ولأتركنهم ينظرون فى دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك و اثم لك .

فقال أمير المؤمنين : يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية فى شىء تشير على وأرى فإذا عصيتك فأطعنى .

فقال عبد الله بن عباس : افعل إن أيسر مالك عندى الطاعة .

كانا متحابين ولكن كان عبد الله بن عباس يخالف أمير المؤمنين نظرته إلى الأمور وفى أساوب معالجتها فكان ابن عباس يرى أن يستعمل مع معاوية بن أبي سفيان وهو من دهاة العرب أساوب المداورة والاحتيال لتصريف الأمور أما على بن أبي طالب فكان يغلب عليه حزمه الدينى .

فقال أمير المؤمنين على : والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الدنى فى أمرى .

فكان لا يرى إلا سبيلا واحداً وهو أمير المؤمنين وله الحق فى عزل معاوية بن أبى سفيان .

وبعث أمير المؤمنين على سهل بن حنيف والياً على الشام فاعترضته خيل فى تبوك بأرض الشام وقالوا له :

— إن بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع .

فعاد إلى المدينة فأمر أمير المؤمنين على بالتجهز لغزو الشام ونزع معاوية بقوة السيف فإن ولايته أمر غير مشروع . وخرج على بن أبى طالب وجعل عبد الله بن عباس على ميمنة جيشه . . واستخلف على المدينة قثم بن العباس بن عبد المطلب .

وعلم أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن أم المؤمنين عائشة والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله قد خرجوا إلى البصرة فغير وجهته وخرج بجيشه مسرعاً وهو يرجو أن يلحق بهم فى الطريق فيردهم عن مقصدهم (معاوية بن أبى سفيان (. ولم يستطع على بن أبى طالب أن يلحق بهم ووجد جيشه وجهاً لوجه أمام جيش معاوية . . وذكر الناس الصلح فبعث على عبد الله بن عباس إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فبعثا محمد بن أبى طلحة إلى أمير المؤمنين على . . واتفقوا على الصلح ولكن مثيرى الفتنة من قتلة عثمان أشعلوا نار الحرب فى الوقت الذى خرجت أم المؤمنين عائشة تركب جملها وقد ألبسوا هودجها الأدرع . فكانت وقعة الجمل . . فاقتتل الناس فمضى الزبير مفارقاً المعركة ورمى مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله بسهم فقتله . وأحاط أصحاب على بهودج أم المؤمنين عائشة يرونها وهم لا يعرفونها فراحت تدعو :

— أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم .

فضج الناس بالدعاء . . وسمع أمير المؤمنين فقال :

— ما هذه الضجة ؟

قالوا : عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم .

فقال على بن أبى طالب : اللهم العن قتلة عثمان .

وحرضت أم المؤمنين عائشة الناس على القتال لما رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحمل جيش على بن أبى طالب على جيش معاوية فكان عبد الله ابن عباس يمشى بين الصفين يخوض غمار القتال فأثنى عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقال : أقر الله عين من له ابن مثل هذا !

وهزم جيش معاوية ووقع هودج أم المؤمنين عائشة فى أيدى أصحاب أمين المؤمنين على فقال لها : كيف أنت يا أمه ؟

قالت أم المؤمنين عائشة : بخير .

قال على بن أبى طالب : يغفر الله لك .

قالت عائشة بنت أبى بكر : ولك .

فلما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبى بكر البصرة فأنزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية بنت الحرث بن أبى طلحة . وأقام على بن أبى طالب بظاهر البشرة .

وكانت البصرة فى حاجة إلى وال ذكى فطن عادل له نظرة ببواطن الأمور عواقبها فعرض أمير المؤمنين ولاية البصرة على أبى بكرة فاعتذر وقال وهو يشير نحو عبد الله بن عباس : رجل من أهلك يسكن إليه الناس .

واغتبط أهل البصرة بابن عباس فقد جمع قلوب أهلها حوله بنشر العلم وجمع شملهم وتخيف آلامهم فى مصابهم . .

ورحل على بن أبى طالب عن البصرة بعد ثلاثة أيام من يوم الجمل وسار شطر الكوفة ليقطع دابر مثيرى الفتنة .

وراح عبد الله بن عباس يغشى الناس فى رمضان فما انقضى الشهر حتى فقه أهل البصرة وأصبح له كثير من التلاميذ وطالبى العلم ولم يغفل عبد الله

بعض بلاد فارس التى كانت تابعة للبصرة فاتخذ مترجماً (نصر بن عمران من عرب ضبيعة قبيلة من ربيعة تسكن قريباً من بلاد فارس (يترجم لأهل بلاد فارس خطبه التى يخطب على منبر البصرة وأحاديث رواها عن النبى عليه الصلاة والسلام . وسأله رجل من طالبى العلم فقال :

— يا ابن عم رسول الله بلغنا أنك رأيت جبريل عليه السلام مرتين .

قال عبد الله بن عباس : نعم . . مررت بالنبى عليه الصلاة والسلام وقد انصرف من صلاة الظهر وعلى ثياب بياض وهو يناجى دحية الكلبى فيما ظننت وكان جبريل ولا أدرى فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله هذا ابن عباس أما انه لو سلم علينا لرددنا عليه أما انه شديد وضح الثياب ولتلبس ذريته من بعده السواد فلما عرج جبريل وانصرف النبى عليه الصلاة والسلام قال لى : ما منعك أن تسلم إذ مررت آنآ ؟ فقلت : يارسول الله مررت بك وأنت تناجى دحية الكابى فكرهت أن أقطع نجواكما يردكما على السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أثبت النظر ذلك جبريل وليس أحد رآه غير نبى إلا ذهب بصره وبصرك ذاهب وهو مردود عليك يوم وفاتك . . ودخلت أنا وأبى على النبى عليه الصلاة والسلام فلما خرجنا من عنده قلت لأبى : ما رأيت الرجل الذى كان عند النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبى : هل كان عنده أحد ؟ قلت : نعم وما رأيت رجلا أحسن وجهاً منه فقال لى أبى : هو كان أحسن وجهاً أم النبى ؟ قلت : هو قال : ارجع بنا فرجعنا حتى دخلنا عليه فقال له أبى : يارسول الله أين الرجل الذى كان معك ؟ زعم عبد الله أنه كان أحسن وجهاً منك قال : يا عبد الله رأيته ؟ قلت : نعم قال : أما إن ذاك جبريل أما إنه حين دخلنا قال لى : يا محمد من هذا الغلام ؟ قلت ابن عمى عبد الله بن العباس قال : أما إنه لحل للخير قلت : يا روح الله ادع له قال : اللهم بارك عليه اللهم اجعل منه كثيراً طيبا .

وقال رجل : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قرأت المحكم فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام .

قال ابن عباس : نعم قرأته .

فقالوا : وما المحكم ؟

قال عبد الله بن عباس : المفصل (قصار السور) .

فقال رجل من أهل البصرة : ما تقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل « ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » ؟

قال عبد الله بن عباس : يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم الذين يعيشون فى النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة . . وقد دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المشربة التى كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسداً مضطجعاً على رمال حصير وليس فى البيت إلا صبرة من قرظ فابتدرت عينا عمر بن الخطاب بالبكاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ياعمر ؟ قال عمر : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أو فى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا .

وسكت عبد الله بن عباس ثم أردف :

— فكان النبى عليه الصلاة والسلام أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا فى عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئاً لغد .

وسئل عبد الله بن عباس عن الإيمان فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع . . آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم . وأنهاكم عن الدباء والحنتم (جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها

إلى المدينة) والمزفت (الإناء الذى طلى بالزفت وهو نوع من القار ثم انتبذ فيه) والنقير (أصل خشبة ينقر فينبذ فيه فيشتد نبيذه) احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم .

ثم استطرد بن عباس :

— قال الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم : يحسب امرىء من الإيمان أن يقول رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عايه وسلم رسولا .

وختم عبد الله بن عباس قوله عن الإيمان فقال :

— بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصيام رمضان فمن ترك واحدة منهن كان كافرا حلال الدم ".

فقال رجل : وما الإسلام ؟

قال ابن عباس : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت . . هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

قالوا : حدثنا عن فضل الشهادتين يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الله بن عباس : أول شىء خطه الله فى الكتاب الأول إنى أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فله الجنة .

ثم استطرد ابن عباس : وقال النبى عايه الصلاة والسلام أيضاً : لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أدناه الهم .

ثم سكت ابن عباس وقال : سمعت رسول الله صلى الله عايه وسلم يقول : يقول الله تعالى : أنا الله لا إله إلا أنا كلمتى من قالها أدخلته جنتى ومن أدخلته جنتى فقد آمن والقرآن كلامى ومنى خرج .

وسئل عبد الله بن عباس عن القدر فقال : قال حبيبى صلى الله عليه وسلم : القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى .

وتبسم عبد الله بن عباس وقال : وقال لى الهادى البشير : ياغلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن الخلائق ولو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرد أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك أو يصرفوا عنك شيئاً أراد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك وأن جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فإذا سألت اسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وإذا اعتصمت فاعتصم بالله واعمل لله بالشكر وفى اليقين واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا .

قال رجل : حدثنا يا ابن عم النبى عليه الصلاة والسلام عن الشيطان ووسوسته .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فأما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم .

ثم قال ابن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول : من خلقك فيقول : الله فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه .

ثم نظر عبد الله بن عباس نحو رجل يصلى وقال

— قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان يأتى أحدكم وهو فى صلاته حتى يفتح مقعدته فيخيل إليه انه أحدث ولم يحدث فإذا وجد أحدكم ذلك فلا ينصرف حتى يسمع صوت ذلك بأذنيه أو يجد ريح ذلك بأنفه . ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان

فقلنا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم .

قال الرجل : وكيف نستعيذ منه يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وجدت ذلك يعني الوسوسة فارفع أصبعك السبابة اليمنى فاطعنه في فخذك اليمنى وقل بسم الله فإنه سكين الشيطان .

وكان ابن عباس إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به وإن لم يكن وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به فإن لم يكن اجتهد برأيه . . وعرف أهل البصرة ابن عباس وأحبوه وكيف لا يحبون بحراً كثر علمه ؟ كان يفقههم في دينهم ويعلم جاهلهم ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم ؟

دخل علي بن أبي طالب الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين من الهجرة فراح يسعى إلى إزالة الفرقة بين المسلمين وتوحيد صفوفهم وكلمتهم وأشار عليه جرير بن عبد الله البجلي بالصلح مع معاوية وقال :

أرسلني إليه فإنه لي ود (معه لي ود) .

فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن هواه مع معاوية .

فقال علي بن أبي طالب : دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به ؟

فبعث أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بن أبي سفيان وكتب معه كتاب يلم معاوية فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وحربه إياهما وبدعوه فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته .

فسار جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بن أبي سفيان فلما قدم عليه وقدم إليه كتاب أمير المؤمنين على ما طله واستنظره واستشار عمر وبن العاص فأشار عليه أن يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان بن عفان ويقاتله بهم وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان بن عفان

الذى قتل فية مخضوباً بالدم بأصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشىء من الكف وإصبعان مقطوعان من أصولهما ونصف الإبهام وضع معاوية بن أبى سفيان القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه فبكوا على القميص ... وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسهم الماء إلا للغسل من الجنابة وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه) .

وعاد جرير بن عبد الله البجلى إلى أمير المؤمنين على وأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون :

— إن عليا قتاه وآوى قتلته .

فقال الأشتر : قد كنت نهيتك أن ترسل جريرا .

وأدرك أمير المؤمنين فشل وساطة جرير بن عبد الله البجلى ولم يجد أمامه إلا دخول بلاد الشام بالسيف فخرج بجيشه فلحق به عبد الله بن عباس بعد أن استخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة وزياد بن أبيه على خراج البصرة .

وعبر جيش على بن أبى طالب الفرات وسار حتى بلغ صفين فوجد معاوية بن أبى سفيان قد سبق بأهل الشام ونزل على مشرعة الماء (نزل ماويه منزلا بسيطاً واسعاً وأخذ شريعة الفرات وجعلها فى حيزه) فعطش أصحاب على بن أبى طالب فطلبوا شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا أمير المؤمنين على فأخبروه بفعل معاوية فبعث إليه يقول :

— إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار إليكم فقدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها منعتم الناس من الماء والناس غير منتهين (منهيين) فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فإن أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا .

فاستشار معاوية أصحابه فقالوا : امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة .

— امنعهم الماء منعهم الله إياه يوم القيامة .

فحاربهم على بن أبى طالب على الماء حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى أيدى أصحاب على فقالوا : — والله لا نسقيه أهل الشام .

فبعث على بن أبى طالب عبد الله عباس وقال لأصحابه :

— خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فإن الله نصركم ببغيهم وظلمهم .

ومكث على بن أبى طالب يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يأتيه أحد . فدعا أمير المؤمنين على بن أبى طالب أبا عمرو بن بشير وسعيد بن قيس وشبث بن ربعى وقال لهم :

— ائتوا هذا الرجل (معاوية) وادعوه إلى الله والى الطاعة والجماعة .

فقال له شبث بن ربعى التميمى :

— يا أمير المؤمنين ألا تطمعه فى سلطان توليه إياه أو منزلة تكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك ؟

قال أمير المؤمنين على : انطلقوا إليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه ؟

فدخلوا عليه فقال بشير بن عمرو : يامعاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وإنى أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها .

فقاطعه معاوية بن أبى سفيان وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟

فقال أبوعمرو : إن صاحبى ليس مثلك إن صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم .

فقال معاوية : فماذا يقول ؟

قال أبوعمرو : يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك .

فقال معاوية بن أبي سفيان : ونترك دم ابن عفان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا .

وجرت مناوشات بينهما فطلب أمير المؤمنين على من عبد الله بن عباس أن يحج بالناس هذا العام فخرج بهم إلى مكة يقيم لهم مناسكهم ولما انتهى موسم الحج رجع إلى صفين فجعله على على ميسرة جيشه . ولما رأى أمير المؤمنين على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بين صفوف جيش معاوية نادى ابن عمته صفية وتحدث معه . . ثم حدث طلحة فمضى الزبير مفارقاً أهل الشام وتبعه طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم فقتله . وقتل أصحاب معاوية عمار بن ياسر الذى كان يحارب مع أمير المؤمنين على فكبر ابن عباس وقال :

ـ فتلته الفئة الباغية .

فقد ظهرت معالم من معالم الحق وعرف كل حقيقة موقفه فلقد سمع كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية .

وعرف الناس الفئة الباغية . . فرجحت كفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب . . واشتد القتال بعد مقتل أبى اليقظان عمار بن ياسر . . ولاحت لأصحاب على بشائر النصر فرفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا :

ـ هذا بيننا وبينكم . . هذا حكم كتاب الله عز وجل .

فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله .

فحذرهم على بن أبى طالب وقال : عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فإن معاوية وعمرا وابن أبى معيط وحبيبا (بن مسلمة) وابن أبى سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ثم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهنا ومكيدة .

فقال الناس : لا يسعنا إلا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ،

وكان التحكيم فاختار معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص وأراد على ابن أبى طالب أن يوكل عبد الله بن عباس لما يعلم من ذكائه وفطنته ودهائه ولكن أهل اليمن قالوا :

— لا نرضى بغير رجل منا بأبى موسى الأشعرى (عبد الله بن قيس) .

فقال على بن أبى طالب :

— قد عصيتمونى فى أول الأمر فلا تعصونى الآن فهذا ابن عباس أوليه ذلك .

فأبوا إلا أبا موسى الأشعرى . . وبعثوا إليه فجاء من الحجاز . . واجتمع الحكمان فى دومة الجندل وحضر التحكيم عبد الله بن عباس رأس الأربعمائة الذين بعثهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب وكان يؤمهم فى الصلاة .

وفشل التحكيم بعد أن اتفق الحكمان على خلع على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وأن يتركا الأمر شورى بين المسلمين فقد غير عمرو بن العاص رأيه ورأى أن ترك الناس بلا أمير يؤدى إلى أمر خطير وتمزيق الأمة الإسلامية . فأعان أبو موسى الأشعرى خلع صاحبه على بن أبى طالب فقام عمرو بن العاص وأكد خلع على بن أبى طالب وتثبيت صاحبه معاوية بن أبى سفيان . . وعرف عمرو بن العاص كيف يخدع أبا موسى الأشعرى الذى تنقصه الفطنة وصواب الرأى الذى يتمتع به ابن عباس ؟

ودب التمزق بين صفوف أهل العراق وضعف موقف على بن أبى طالب فى مواجهة معاوية بن أبى سفيان فقد رفض بعض أهل العراق التحكيم .

ولما قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب التحكيم . . . مر الأشعث ابن قيس على ملأ من بنى تيم فقرأ عليهم الكتاب فغضب عروة بن جرير ابن ربيعة بن حنظلة وقال :

— أتحكمون فى دين الله الرجال ؟ لا حكم إلا لله .

وتفرق الناس إلى بلادهم فخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ورجع على

إلى الكوفة فانعزل عنه الحروريون (الخوارج) وباينوه وخرجوا عليه . فلما اعتزلت الحرورية قال عبد الله بن عباس لعلى :

— يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم .

قال على بن أبي طالب : إنى أتخوفهم عليك .

قال عبد الله بن عباس : كلا إن شاء الله .

فلبس أحسن عباءة يمانية ثم ذهب إليهم فدخل عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة فلم ير قوماً أشد اجتهاداً منهم أيديهم كأنها ثفن (ثفنت يده ثفنا أى غلظت ويبست من العمل) إبل ووجوههم مقلبة من آثار السجود .

فلما دخل ورأوه قالوا :

— مرحباً بك يا ابن عباس ما جاء بك ؟

قال عبد الله بن عباس : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحى وهم أعلم بتأويله .

فقال عروة بن جرير وأناس حوله : لا تحدثوه .

وقال بعضهم : لنحدثنه .

فتساءل ابن عباس : أخبرونى ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وأول من آمن به وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام معه ؟

قالوا : ننقم عليه ثلاثا .

فقال عبد الله بن عباس : وما هن ؟

قالوا : أولاهن أنه حكم الرجال فى دين الله وقد قال الله عز وجل « إن الحكم إلا لله » .

فقال ابن عباس : وماذا ؟

قال الخوارج : والثانية : أنه قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم .

فقال عبد الله بن عباس : وماذا ؟

قالوا : ومحا نفسه عن أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

فتساءل ابن عباس : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم مالا تنكرون .. أترجعون ؟

قالوا : نعم .

قال عبد الله بن عباس : أما قولكم : إنه حكم الرجال فى دين الله فإن الله تبارك وتعالى يقول﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ وقال الله عز وجل فى المرأة وزوجها ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ . أنشدكم الله أفحكم الرجال فى حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم ؟

فقالوا : اللهم فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم .

فتساءل ابن عباس : أخرجت من هذه ؟

فقال الخوارج : اللهم نعم .

قال عبد الله بن عباس : وأما قولكم : إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ (يعنى أم المؤمنين عائشة (فقد كفرتم وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهه أمهاتهم ﴾ فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم ؟

قال الخوارج : لا نختار هذه ولا تلك .

فتساءل ابن عباس : أخرجت من هذه ؟

قالوا : اللهم نعم .

قال عبد الله بن عباس : وأما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية لما صدوه عن

البيت الحرام على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال للكاتب (على بن أبى طالب) : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولاقاتلناك . . فاكتب : اسمك واسم أبيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنى لرسول الله وإن كذبتم . « ثم قال لكاتب الصحيفة : اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . . فرسول الله كان أفضل من على . . أخرجت من هذه ؟

قال الخوارج : اللهم نعم »

لقد تمكن عبد الله بن عباس بعلمه وحلمه وقوة حجته ومنطقه الباهر أن يقيم عليهم الحجة فرجع منهم عشرون ألفا إلى جيش على بن أبى طالب وبقى منهم أربعة آلاف

أقبل الفرزدق (كان شاعراً) فصحبه عبد الله بن عباس إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما دخل عليه سأله : من أنت ؟

قال الفرزدق : أنا غالب بن صعصعة

فقال أمير المؤمنين على : ذو الإبل الكثيرة ؟

قال الفرزدق : نعم

قال على بن أبى طالب : فما صنعت إبلك ؟

قال الفرزدق : دعدعها الحقوق وأذهبتها النوائب (الدعاع هى الأرض الجرداء وكأن الفرزدق شبه قلة إبله التى نحرها للأضياف وأدى الديات على الناس بالأرض الجرداء قليلة النبات)

فقال أمير المؤمنين على : ذلك خير سبيلها

ثم نظر نحو غلام كان مع الفرزدق وتساءل : من هذا الذى معك ؟

قال الفرزدق فى فخر واعتزاز : ابنى وهو شاعر وإن شئت أنشدك :

فقال على بن أبى طالب : علمه القرآن فهو خير له من الشعر!!

كان عبد الله بن عباس ينتقد أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعض أحكامه فيرجع إليه على بن أبى طالب فى ذلك . . وحرق على بن أبى طالب ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك عبد الله بن عباس فقال :

— لو كنت أنا لم أحرقه بالنار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تهيأت ابنته زينب للخروج من مكة إلى أبيها فى المدينة خرج رجال من قريش وراء هودجها وأدركها هبار بن الأسود ونافع بن قيس فروع هبار بعيرها برمحه فألقى بها وبهودجها على صخرة فطرحت جنينها على أديم الصحراء وأخذت تنزف دماً . . فبعث النبى عليه الصلاة والسلام سرية وقال : إن ظفرتم بهبار ونافع فاقطعوا أيديهم وأرجلهما ثم اضربوا عنقيهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تعذبوا بعذاب الله . بل كنت قاتلهم لقول النبى عليه الصلاة والسلام : من بدل دينه فاقتلوه .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين على فقال : ويح ابن عباس إنه لغواص على الهنات .

وجاء رجل إلى عبد الله بن عباس وأبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر) جالس عنده فقال : افتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة .

فقال ابن عباس : آخر الأجلين .

فقال أبو سلمة : وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن .

قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخى (يعنى أبا سلمة) .

فأرسل عبد الله بن عباس إلى أم المؤمنين أم سلمة غلامه كريبا يسألها فقالت أم سلمة :

— قتل زوج سبيعة الأسلمية وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها .

وسأل على بن أبى طالب رجلا من أهل البصرة (صعصعة بن صوحان) عن ابن عباس فقال الرجل :

— إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث . . آخذ بقلوب الرجال إذا حدث وبحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر الأمرين إذا خولف وتارك المراء ومصادقة اللئام وما يعتذر منه .

فتبسم أمير المؤمنين على وحمد الله أن وفقه لاختيار عماله .

وسعى مناع إلى عبد الله بن عباس برجل . . فقال ابن عباس :

— إن شئت نظرنا فإن كنت كاذباً عاقبناك وإن كنت صادقاً نفيناك وإن شئت أقلتك .

قال الرجل : هذه .

وحاول عبد الله بن عباس حث أهل البصرة للقيام مع على بن أبى طالب مرة أخرى إلى قتال معاوية ولكن أهل العراق تثاقلوا عن الخروج . أما أهل الشام فكانا ينتظرون بعد صفين أمر الحكمين فلما تفرق عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزد إلا قوة ولم يعد لمعاوية هم إلا مصر فبعث أنصاره إليها فقتلوا محمد بن أبى بكر والى مصر من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما علم حزن حزناً شديداً وكتب إلى عبد الله بن عباس فى البصرة يقول :

— من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس سلام عليك فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبى بكر قد استشهد فعند الله نحتسبه وندخره وقد كنت قمت فى الناس فى بدئه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سراً وجهراً وعوداً وبدءاً فمنهم من أتى كارها ومنهم من اعتل كاذباً ومنهم القاعد حالا أسأل الله أن يجعل لى منهم فرجاً ومخرجاً وأن يريحنى منهم عاجلا والله لولا طمعى عند لقاء عدوى فى الشهادة لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً . عزم الله لنا ولك على الرشد وعلى تقواه وهداه إنه على كل شىء قدير .

واستشعر ابن عباس من كتاب على بن أبى طالب تأثره وحزنه الشديد على مقتل محمد بن أبى بكر فرد عليه عبد الله بن عباس بكتاب قال فيه :

— بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام الله عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أما بعد فإنه بلغنى كتابكم تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبى بكر فالله المستعان على كل حال ورحم الله محمد بن أبى بكر وأجرك يا أمير المؤمنين وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيتك التى ابتليت بها فرجاً ومخرجا وأن يعزك بالملائكة عاجلا بالنصرة فإن الله صانع ذلك ومعزك ومجيب دعوتاك وكابت عدوك . أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تثاقلوا ثم ينشطون فارفق بهم يا أمير المؤمنين وداجنهم (داهنهم) ومنهم واستعن بالله عليهم . . كفاك الله لهم والسلام .

وكتب معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب : يا أبا الحسن إن لى فضائل كثيرة وكذا أبى سيدا فى الجاهلية وصرت ماكاً فى الإســلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحى .
فنظر أمير المؤمنين على نحو ابن عباس الذى كان حاضراً وقال :

— أبا الفضائل ؟ تفتخر على ابن آكلة الأكباد (هند بنت عتبة بن ربيعة التى بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ولاكت كبده) ؟
ثم قال على بن أبى طالب لغلامه : اكتب يا غلام :

محمد النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى ... منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها ... فأيكم له سهم كسهمى
سبقتم إلى الإسلام طرا ... صغيراً ما بلغت أوان حامى

فلما بلغ معاوية كتاب على بن أبى طالب وقرأه قال :

— اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى على بن أبى طالب .

ودخل محمد بن الحنفية على أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب فسأله :

— أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال أمير المؤمنين على : أبو بكر .

فتساءل محمد بن الحنفية : ثم من ؟

قال على بن أبى طالب : ثم عمر .

فقال محمد بن الحنفية : ثم أنت ؟

قال أمير المؤمنين : أنا رجل من المسلمين لى حسنات وسيئات يفعل فيها ما يشاء .

فتبسم عبد الله بن عباس .

وربا (استفحل) أمر الخوارج وعاثوا فى الأرض فسادا وصاروا يعترضون على أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو يخطب على منبر المسجد بالكوفة فنصحه ابن عباس أن يعاملهم بالإناة واللين والصبر حتى تمكن من تجهيز جيش كبير لقتال معاوية بن أبى سفيان وبعث عبد الله بن عباس إلى أمير المؤمنين على ثلاثة آلاف ومائتى فارس من أهل البصرة فتهيأ أمير المؤمنين على للخروج لقتال معاوية فى النخيلة قرب الكوفة ولكنه علم أن الخوارج قطعوا الطرق على الناس وقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقروا بطن امرأته وهى حامل فغير على بن أبى طالب وجهته وخرج لقتال الخوارج فى النهراوان . فهزمهم وقتل منهم أربعة آلاف .

ولما رجع أمير المؤمنين على من النهراوان إلى الكوفة ليستعد من جديد للخروج وقتال أهل الشام تثاقل أهل العراق وتسلل كثير منهم من معسكر على حتى أصبح خالياً فانضم عبد الله بن عباس إلى على بالكوفة ليشد من أزر ابن عمه على بن أبى طالب فى هذه الفترة الحرجة التى قويت فيها شوكة

معاوية بن أبى سفيان .

ولكن اشتعلت نيران الاضطراب والتمرد فى بلاد العجم والأهواز فأمر على ابن عباس بالعودة إلى البصرة فرجع عبد الله بن عباس إليها وبعث من البصرة زياد بن أبيه إلى بلاد فارس فتمكن من تهدئة الاضطراب والتمرد وإعادة الأمن للبلاد .

وأخبر الواشون أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن ابن عباس قد أكل ما تحت يديه من مال الأمة فكتب على بن أبى طالب إلى عبد الله بن عباس فى ذلك فرد عليه ابن عباس :

— إن ما بلغك باطل وإنى لما تحت يدى ضابط وله حافظ .

فكتب أمير المؤمنين على إليه يطالب منه أن يبين له ما أخذ وما أنفق من المال . . فأوضح له ابن عباس ذلك ولكن على بن أبى طالب أرسل إليه يسأله عن سهم ذى القربى لمن هو ؟ فكتب إليه عبد الله بن عباس قائلا :

— إنا نراها لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لنا لقربى النبى عليه الصلاة والسلام قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وقد كان عمر بن الخطاب عرض علينا منه شيئاً رأيناه دون حقنا وأبينا أن نقبله .

واستفحل الخلاف بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس ورغم ذلك ظل ابن عباس وفياً مخلصاً لابن عمه وظل والياً على البصرة حتى قتل عبد الرحمن بن ملجم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فحزن ابن عباس حزناً شديداً على مقتل شيخ بنى هاشم .

ثم ترك عبد الله بن عباس البصرة ورحل إلى مكة . . فلما دخلها قال :

آوى إلى أهلك يا رباب   آوى فقد حان لك الاياب

واعتزل عبد الله بن عباس حياة السياسة والحكم وتفرغ لمنهجه العلمى الذى سبق له أن التزمه منذ أن وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدايته .

وتحسنت العلاقة بين معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن عباس بعد أن أعرض عن كل مطلب سياسى لنفسه أو لغيره وتفرغ لمنهجه العلمى فقد أصبح أبرز رجال بنى هاشم بعد أن تبوأ مكانته العلمية التى كان يسعى إليها .

الحسن بن على :

كان عبد الله بن عباس مخلصاً للحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب بعد وفاة ابن عمه رغم العلاقة الطيبة التى نشأت بين ابن عباس ومعاوية . وكان أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفاً من جنده على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به من أهل الشام ولكنه بينما كان يتجهز للسير قتله ابن ملجم . فبايع الناس ولده الحسن فلما بلغه مسير معاوية بن أبى سفيان فى أهل الشام إليه تجهز هو الجيش الذين بايعوا أباه عليا . ولما وصل الحسن المدائن جعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مقدمة جيشه فى الطلائع . فلما نزل الحسن بن على المدائن . . نادى منادى فى الجند :

— ألا إن قيس بن سعد قتل . . فانفروا .

فنفروا بسرادق الحسن بن على فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطاً كان تحته . . فازداد الحسن لهم بغضاً ومنهم ذعرا . فلما رأى تفرق الأمر عنه كتب كتاباً إلى معاوية وذكر شروطاً . .

وذهب عبد الله بن عباس إلى معاوية حين كان الصلح فقال معاوية :

— أنت على ملة على ؟

قال ابن عباس : ولا على ملة عثمان . . أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال معاوية بن أبى سفيان : الحمد لله الذى أمات عليا . .

قال عبد الله بن عباس : إن الله لا يذم فى قضائه وأرجو أن تعفينى من ابن عمى (على) وأعفيك من ابن عمك (عثمان) .

قال معاوية بن أبي سفيان : ذلك لك .

ولما تم الصلح قال الحسن بن على لأخيه الحسين : إنى راسلت معاوية فى الصلح.

فقال الحسين بن على : أنشدك الله أن تصدق فى أحدوثة معاوية وتكذب أحدوثة أبيك .

فنهره الحسن وقال : أسكت أنا أعلم بالأمر منك .

ثم خرج الحسن إلى أهل العراق وقال لهم :

— يا أهل العراق إنه لسخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم إياى وانتهابكم متاعى .

ولما علم عبد الله بن عباس أن معاوية بن أبي سفيان يعد جيشاً لغزو القسطنطينية وأن أبا أيوب الأنصارى وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وبعض سادات الصحابة تجهزوا للخروج معه خرج عبد الله بن عباس إلى دمشق ليجاهد فى سبيل الله فقد سمع حديث النبى عليه الصلاة والسلام :

— أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم .

وكان هذا الجيش أول من غزاها وكان أميره يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

وبينما كان ابن عباس عند معاوية جاء كتاب يحمل نبأ وفاة الحسن بن على بن أبى طالب فعزاه معاوية فيه أحسن تعزية فرد عبد الله بن عباس رداً حسناً وأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتى عبد الله بن عباس فيعزيه فى الحسن . فلما دخل يزيد على ابن عباس رحب به وأكرمه وجلس يزيد بين يدى عبد الله بن عباس فأراد أن يرفع مجلس يزيد فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزى لا المهنى .

ثم ذكر يزيد الحسن بن على فقال :

— رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها وأعظم الله أجرك وأحسن

عزاءك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى .

فأعجب عبد الله بن عباس بحسن تعزية يزيد بن معاوية فشكره عليها .

فى عهد معاوية بن أبى سفيان :

أكرم معاوية عبد الله بن عباس وقربه واحترمه وعظمه وكان يلقى عليه المعضلات فكان ابن عباس يفتى فيها سريعاً . ورآه معاوية يوماً وهو يتكلم فقال متمثلا :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظر الصقر

وقال معاوية بن أبى سفيان لعكرمة فتى ابن عباس :

— مولاك والله أفقه من مات ومن عاش

وقدم معاوية بن أبى سفيان مكة (أو المدينة) فأتى المسجد فقعد فى حلقة فيها عبد الله بن عمرو عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبى بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه عبد الله بن عباس فقال :

— وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه .

فقال ابن عباس : ولم ؟ ألتقدم فى الإسلام ؟ أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أو قرابة منه ؟

قال معاوية بن أبى سفيان : لا ولكن ابن عم المقتول (عثمان بن عفان) .

فأشار عبد الله بن عباس نحو عبد الرحمن بن أبى بكر وقال :

— فهذا أحق به .

قال معاوية بن أبى سفيان : ان أباه مات موتا .

فأشار ابن عباس نحو عبد الله بن عمر بن الخطاب وقال : فهذا أحق به ،

فقال معاوية بن أبى سفيان : ان أباه قتله كافر .

قال عبد الله بن عباس : فذاك أدحض لحجتك ان كان المسلمون عتبوا على ابن عمك (عثمان بن عفان) فقتلوه .

فسكت معاوية بن أبي سفيان .

ولقي أبو قتادة الأنصارى معاوية فقال : تلقانى الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار ؟

قال أبو قتادة : لم يكن لنا دواب .

قال معاوية : فأين النواضح ؟

قال أبو قتادة : عقرناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر .

ثم استطرد أبو قتادة الأنصارى :

— ان النبي عليه الصلاة والسلام قال لنا : انكم سترون بعدى اثرة .

قال معاوية بن أبي سفيان : فما أمركم !؟

قال أبو قتادة الأنصارى : أمرنا أن نصبر .

قال معاوية بن أبي سفيان : فاصبروا له .

وكتب هرقل ملك الروم إلى معاوية بن أبي سفيان عن أشياء فتساءل معاوية : فمن لهذا ؟

قالوا : عبد الله بن عباس .

فكتب معاوية إلى ابن عباس يسأله عن : أحب الكلام إلى الله عز وجل . ومن أكرم العباد على الله عز وجل !؟ ومن أكرم الأماء على الله عز وجل ؟ وعن أربعة فيهن الروح فلم يركضوا فى رحم . وعن قبر سار بصاحبه . وعن مكان فى الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة . وعن قوس قزح ما هو ؟ وعن المجرة .

فقال عبد الله بن عباس : أما أحب الكلام إلى الله عز وجل فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . وأكرم العباد على الله آدم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه

أسماء كل شيء . وأكرم الأماء على الله عز وجل مريم بنت عمران . وأما الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم وفيهن الروح : فآدم وحواء وعصى موسى وكبش ابراهيم الذى فدى به اسماعيل (وقيل ناقة صالح) وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو حوت يونس . وأما المكان الذى لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة (طلعت فيه الشمس ولم تطلع قبل ذلك اليوم ولا بعده) فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنواسرائيل فيه . وأما قوس قزح فأمان أهل الأرض من الغرق . وأما المجرة فباب السماء الذى تنشق منه .

فلما قرأ هرقل ملك الروم ذلك أعجبه وقال : والله ما هى من عند معاوية ولا من قوله وإنما هى من عند أهل النبي صلى الله عليه وسلم . وقرب معاوية عبد الله بن عباس وأكرمه واحترمه وعظمه وكان يلقى عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها ابن عباس فيقول معاوية :

ما رأيت أحداً أحضر جواباً منه .

ولما خرج معاوية بن أبي سفيان للحج كان له موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم . فلما كان الناس وقوفاً فى الموقف قال ابن عباس :
— أشهد لسمعت عمر يهل (الاهلال رفع الصوت بالتلبية ويقال أهل المحرم بالحج) .

فقال له رجل : أرأيت حين دفع ؟

فقال عبد الله بن عباس : لا أدرى .

فتعجب الناس من ورع عبد الله بن عباس .

وكانت خالته ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجت معه . فلما أدت مناسك الحج ماتت بسرف (نفس الموضع الذى نصب فيه النبي عليه الصلاة والسلام قبته لما بنى بها فى العام السابع من الهجرة فى عمرة القضاء) سنة إحدى وخمسين من الهجرة وشهد عبد الله بن عباس وفاة خالته وصلى عليها وقد أوصت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية بحجرتها لعبد الله بن عباس فاتخذها كمدرسة لنشر العلم بين الناس .

نكاح المحرم :

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث فى العام السابع من الهجرة فى غزوة القضاء ويرى عبد الله بن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام تزوج خالته ميمونة بنت الحارث وهو محرم بينما تضافرت الروايات عن غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال ولعل النبي عليه الصلاة والسلام عقد عليها وهو محرم وبنى بها بعد أن حل من احرامه ولعله صلى الله عليه وسلم جعل زواجه من ميمونة بنت الحارث فرصة لتأليف قلوب أشراف قريش (سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرر بن حفص وصفوان بن أمية والحارث بن هشام وعتاب بن أسيد وعكرمة بن عمرو بن هشام و . .) فقرر أن يصنع فى مكة وليمة (قال صلى الله عليه وسلم :

— إنه لا بد للعروس من وليمة . إذا دعى أحـــدكم إلى وليمة عرس فليجب)وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سادات مكة وقال :

— إنى قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم إن مكثت حتى أدخل بها وأصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟

فقال حويطب بن عبد العزى :

— لا حاجة لنا فى طعامك (وليمتك) أخرج عنا من أرضنا هذه الثلاثة قد مضت (يعنى الثلاثة أيام التى اتفقوا عليها يوم صلح الحديبية وهذه إشارة أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أدى العمرة) .

فخرج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة وبنى بميمونة بنت الحارث بسرف (موضع يبعد عن مكة ستة أميال) .

صفة عبد الله بن عباس :

كان ابن عباس جميلا أبيض طويلا مشرباً بصفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه له وفرة إذا جلس يأخذ مكان رجلين قد شابت وفرة (الوفرة الشعر المجتمع على الرأس) وقد شاب مقدم رأسه وشابت لمته وكان يخضب بالحناء (قيل بالسواد) وكان فصيحاً . . سأل رجل طاوس فتى ابن عباس :

— لزمت هذا الغلام (يعنى ابن عباس) وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال طاوس :

— إنى رأيت سبعين من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام إذا تداوروا (اختلفوا) فى شىء صاروا إلى ابن عباس .

وقال أبو بكرة : قدم علينا ابن عباس البصرة وما كان فى العرب مثله جسماً وعقلا وثياباً وجمالا وكمالا . وكان عبد الله بن عباس يشترى اليمانيه (العباءة) بألف ويكثر من الطيب بحيث أنه كان إذا مر فى الطريق تقول النساء :

— هذا ابن عباس أو رجل معه مسك .

حلم عبد الله بن عباس :

شتم رجل عبد الله بن عباس فقال له :

— إنك لتشتمنى وفى ثلاث خصال : إنى لآتى على الآية من كتاب الله فأود أن الناس علموا منها مثل الذى أعلم . وإنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضى بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعوا إليه ولعلى لا أقاضى إليه ولا أحاكم أبدا . وإنى لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به ومالى بها من سائمة (خيل معلمة عليها ركابها) أبدا .

لم يكن ابن عباس غنياً بالعلم فحسب بل كان يمتلك ثروة أكبر من الحلم والخلق فكان طاهر القلب تقى النفس لا يحمل لأحد ضغناً ولا غلا . كان عابداً قانتاً يقوم الليل ويصوم الاثنين والخميس ويقول :

— أحب أن ترفع أعمالى وأنا صائم .

من أقواله :

يقول ابن عباس : تمام المعروف تعجيلة وتصغيرة وسترة — يعنى

أن تعجل العطية للمعطى وأن تصغر فى عين المعطى وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها — فإن فى إظهاره فتح باب الرياء وكسر قلب المعطى واستياءه من الناس .

وقال : أعز الناس على جليس لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت .

وقال أيضاً : لا يكافىء من أتانى يطلب حاجة فرآنى لها موضعاً إلا الله عز وجل وكذا رجل بدأنى بالسلام أو أوسع لى فى مجلس أوقام لى عن المجلس أو رجل سقانى شربة ماء على ظمأ حفظنى بظهر الغيب .

وكان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له : يا ابن عباس لم تفعل هذا ؟

قال عبد الله بن عباس : إنه بلغنى أنه ليس فى الأرض رمانة تلقح إلا بحبة من حب الجنة فلعها هذه .

وجاء ابن عباس رجل يقال له جندب فقال : يا أبا العباس أوصنى .

فقال عبد الله بن عباس : أوصيك بتوحيد الله والعمل له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فإن كان خير آتيه أنت بعد ذلك مقبول وإلى الله مرفوع . يا جندب إنك لن تزد من موتك إلا قربا فصل صلاة مودع وأصبح فى الدنيا كأنك غريب مسافر فإنك من أهل القبور وابك على ذنبك وتب من خطيئتك ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعالك فكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله ولن تنتفع بما خلفت ومن ينفعك إلا عملك .

وقال بعضهم : أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم (كانت أغلى شىء عند العرب) فقال : لا تكلمن فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعاً ولا تمار سفيهاً ولا حليماً فإن الحليم يغلبك والسفيه يزدريك ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذى تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالإحسان مأخوذ بالإجرام .

فقال رجل كان حاضرا : يا ابن عباس هذه خير من عشرة آلاف .

فقال عبد الله بن عباس : كلمة منه خير من عشرة آلاف .

وجاءه أبو غالب الخلجى فقال : يا ابن عم رسول الله أوصنى .

قال ابن عباس : عليك بالفرائض وما وظف الله تعالى عليك من حقه فأده واستعن الله على ذلك فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصا فيما عنده من حسن ثوابه إلا أخره عما يكره وهو الملك يصنع ما يشاء .

وقال عبد الله بن عباس : ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال فإن صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال .

وقال أيضاً : ذهب الناس وبقى النسناس .

فقالوا : وما النسناس ؟

قال ابن عباس : الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس . يأتى زمان يعرج فيه بعقول الناس حتى لا تجد فيه أحداً ذا عقل .

ورأى رجل ابن عباس آخذاً بثمره لسانه (طرفه) وهو يقول :

— ويحك قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم .

فقال له الرجل : يا ابن عباس مالى آراك آخذاً بثمرة لسانك تقول كذا وكذا ؟

قال عبد الله بن عباس : إنه بلغنى أن العبد يوم القيامة ليس هو على شىء أحنق منه على لسانه .

وقال ابن عباس : لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ماشاء الله أحب إلى من حجة بعد حجة . ولطبق بدانق (سدس درهم) إلى أخ فى الله عز وجل أحب إلى من دينار أنفقه فى سبيل الله عز وجل .

وقال عبد الله بن عباس : إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يبسط عليك فقل : الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر .

أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبده فلان وجنده وأتباعه من الجن والإنس . اللهم كن لى جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك .

وكان عبد الله بن عباس يقول : ياصاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته فإن قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذى عملته وضحكك وأنت لا تدرى ما الله صانع بك أعظم من الذنب وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب وحزنك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته . ويحك هل تدرى ماكان ذنب أيوب عليه السلام ؟ فابتلاه الله تعالى بالبلاء فى جسده وذهاب ماله ؟ إنما كان ذنب أيوب عليه السلام أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه عنه فلم يعنه ولم يأمر بمعروف وينه الظالم عن ظلم هذا المسكين . . فابتلاه الله عز وجل .

وقال ابن عباس : ما ظهر البغى فى قوم قط إلا ظهر الموتان .

فقيل له : وما الموتان ؟

قال ابن عباس : الموت الكثير الوقوع .

وقال ابن عباس : لو قال لى فرعون : بارك الله فيك لقلت : وفيك .

وكان يقوم شطر الليل فيقرأ ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ فيرتل ويكثر فى ذاكم النشيج .

قالوا عن ابن عباس :

كان عبد الله بن عباس من الراسخين فى العلم وكان تنوع ثقافته وشمول معرفته فهو الحبر الفطن فى كل علم فى تفسير القرآن وتأويله وفى الفقه فقد روى ألفاوستمائة حديثاً والله سبحانه وتعالى أعلم وكان حاذقاً فى التاريخ وفى لغة العرب وآدابهم وأشعارهم وأنسابهم وكان مقصد أهل العلم والمعرفة .

قال مجاهد : ما رأيت أعرب لساناً من ابن عباس .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس عبد الله بن عباس الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام .

وقال عبيد الله بن عتبة : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال بعلم ما سبق إليه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه وحلم ونسب وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي عليه الصلاة والسلام منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ولا أفقه في رأى منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر إلا الفقه ويوماً يذكر فيه إلا التأويل ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازى ويوماً ما يذكر فيه إلا الشعر ويوماً أيام العرب وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ولا وجدت سائلا سأله إلا وجد عنده علما .

وقال سعد بن أبي وقاص : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس .

وقال عبد الله بن مسعود : أما إن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد .

وقال مسروق : كنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت : أجمل الناس . فإذا تكلم قلت : أفصح الناس وإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

وقال طاوس : كان ابن عباس قد بسق (طال) الناس فى العلم كما تبسق النخل السحوق على الودى الصغار .

وقال سعيد بن جبير : إن كان ابن عباس ليحدثنى الحديث فلو يأذن لى أن أقبل رأسه لفعلت .

وقال طلحة بن عبيد الله : لقد أعطى ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً ماكنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحدا .

وقال أبي بن كعب الأنصارى : ابن عباس حبر هذه الأمة أوتى عقلا وفهما وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقهه فى الدين ،

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ابن عباس أعلمنا بما مضى وأفقهنا فيما نزل مما لم يأت فيه شيء .

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب : اعلمنا ابن عباس .

تلاميذ عبد الله بن عباس :

جذبت مكانة ابن عباس العلمية حوله عدداً كبيراً من طلاب العلم والمعرفة فكانوا يزدحمون على بابه ويتحلقون حوله حلقاً فى المسجد وإذا سار ساروا خلفه وبين يديه فى موكب عظيم يفوق موكب الخلفاء والملوك ولكنه كان موكب علم فما سأله أحد عن شيء إلا أخبره به وزاده مثل ما سأل عنه أو أكثر . ولا يستطيع أحد أن يحصر من أخذوا عنه أو تلقوا عنه ولكن أهم من رووا عنه عبد الله بن عمر بن الخطاب والمسور بن مخرمة وثعلبة بن الحكم الليثى وأبو الطفيل وغيرهم أما تلاميذ بن عباس فنهم : عطاء بن أبى رباح وطاوس وسعيد بن جبير وكريب ومجاهد بن جبير (كان فى طليعة تلاميذ بن عباس فى التفسير (وعكرمة وسعيد بن المسيب وعمر وبن دينار وأبو العالية وسليان بن يسار وعامر الشعبى وابن أبى مليكة وعمروبن ميمون الأزدى ومحمد بن سيرين وميمون بن مهران والنضر بن أنس ويحيى بن يعمر والقاسم بن محمد وعلقمة بن وقاص وعلى بن الحسن وغيرهم ؛

ترجمان القرآن :

وهب الله عز وجل عبد الله بن عباس فصاحة وبلاغة وحسن بيان ودعا له النبى عليه الصلاة والسلام ربه أن يعلمه التأويل فاستجاب الله تعالى تعالى لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فأصبح ابن عباس مرجع الناس فى تفسير القرآن حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون مسائل التفسير إليه فقد أتى رجل عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله عن

قول الله عز وجل ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون ﴾ فقال عبد الله بن عمر للرجل :

— اذهب إلى ابن عباس ثم تعالى أخبرنى .

فأتى الرجل عبد الله بن عباس فسأله فقال ابن عباس :

— كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لاتنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات .

فرجع الرجل إلى عبد الله بن عمر فأخبره فقال عبد الله بن عمر :

— قد كنت أقول ما يعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه أوتى علما .

وسبب تبحر عبد الله بن عباس فى علوم القرآن أنه أخذ ما عند ابن عمه على بن أبى طالب من التفسير وضم إليه ما أخذه عن الشيخين أبى بكر الصديق والفاروق عمر وعثمان بن عفان وأبى بن كعب الأنصارى وغيرهم من كبار الصحابة . فقد اهتم عبد الله بن عباس بكتاب الله منذ صغره ذ حفظ المفصل من القرآن وهو لايزال فى مكة (المفصل السبع السابع من كتاب الله وسمى بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره) لم يتجاوز العاشرة من عمره .

وقد اعتمد عبد الله بن عباس فى تفسير القرآن على إلمامه بالسنة وعلى معرفته بأسباب النزول وذخيرته الواسعة باللغة العربية وآداب العرب من شعر ونثر وطرائق العرب فى كلامها . فكان له أسلوبه المميز فى التفسير الذى يعتمد على :

- — تفسير القرآن بالقرآن : وذلك بتفسير آيات القرآن من خلال آيات أخرى أى يفسر القرآن بالقرآن .

سأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ .

فقال عبد الله بن عباس : كان ابراهيم احتجرها (سألى الرزق للمؤمنين فقط (دون الناس فأنزل الله عز وجل ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ فأنا أرزقهم أيضاً كما أرزق المؤمنين .

ثم أردف ابن عباس : ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » .

وسأل العوام بن حوشب مجاهدا (تلميذ ابن عباس) عن سجدة سورة ص فقال مجاهد :

— سألت عبد الله بن عباس : من أين سجدت ؟ فقال : أوما قرأت ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ ؟ و ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ؟ فكان داود ممن أمرنبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به فسجدها النبي عليه الصلاة والسلام فلا ينبغي تفسير آية قرآنية بمعزل عن الآيات الأخرى » .

• تفسير القرآن بالسنة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام : لأن السنة تشرح كتاب الله عز وجل وتبين معانيه يقول الله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ وقال عز وجه ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ .

قال سعيد بن جبير (من تلاميذ عبد الله بن عباس) لابن عباس :

— إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل .

فقال عبد الله بن عباس : كذب عدو الله . . حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد

العلم إليه فأوحى الله إليه أن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى : يارب وكيف لى به ؟ فقيل له : احمل حوتاً فى مكتل فإذا فقدته فهو ثم . فانطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون وحملا حوتاً فى مكتل فاتخذ سبيله فى البحر سربا وكان لموسى وفتاه عجبا فانطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما أصبحا قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا نصبا ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به فقال له فتاه : أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت قال موسى : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام قال : أنا موسى قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم قال : أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ؟ قال : إنك لن تستطيع معى صبرا يا موسى إنى على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه قال : ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر فقال الخضر لموسى : ما نقص علمى وعلمك من علم الله تعالى إلا كنقرة هذا العصفور فى هذا البحر فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : لا تؤاخذنى بما نسيت فكانت الأولى من موسى نسيانا فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده فقال موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ فانطلقا حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه الخضر بيده فقال موسى : لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال : هذا فراق بينى وبينك . . قال النبى عليه الصلاة والسلام : يرحم الله موسى لوددنا لوصبر حتى يقص علينا من أمرهما .

* الاعتماد على اللغة العربية وشعر ونثر وطرائق العرب فى كلامها لفهم

معانى الكلمات القرآنية : قال نافع بن الأزرق لابن عباس :

— ما معنى الشواظ فى قوله تعالى : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ ؟

فقال عبد الله بن عباس : هو اللهب الذى لادخان معه .

فسأله نافع بن الأزرق على شاهد على ذلك من اللغة فقال ابن عباس متمثلا بأبيات لأمية بن أبى الصلت :

ألا من مبلغ حسان عنى مغلغلة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا فى الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دائباً لهب الشواظ

فقال نافع بن الأزرق : صدقت . . فما النحاس ؟

قال عبد الله بن عباس : هو الدخان الذى لا لهب له .

فتساءل نافع بن الأزرق : فهل تعرفه العرب ؟

قال ابن عباس : نعم . . أما سمعت نابغة بنى جعدة يقول :

يضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا .

واحتكم اعرابيان إلى عبد الله بن عباس فى بىر فقال أحدهما : أنا فطرتها .

وقال الثانى : أنا ابتدأت حفرها .

وعرف ابن عباس وفهم المعنى الدقيق لكلمة فاطر وما كان يدرى معنى الفاطر قبل أن يحتكم إليه الإعرابيان .

• عدم جواز تفسير القرآن بمجرد الرأى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال بالقرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار . . وقد قسم ابن عباس التفسير إلى أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لايعلمه إلا الله عز وجل .

• لم يعتمد عبد الله بن عباس على الإسرائيليات (على ما كان يتناقله أهل الكتاب من أخبار) وقال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب (ظل صافياً سالماً لم يختلط به غيره) وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلا أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذى أنزل عليكم .

رأى أبو صالح مجلساً من ابن عباس لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر فلقد رأى أبو صالح الناس اجتمعوا على باب عبد الله بن عباس حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب فدخل أبو صالح على عبد الله بن عباس وأخبره بمكانهم على بابه فقال عبد الله بن عباس : — ضع لى وضوءاً .

فوضع أبو صالح الوضوء فتوضأ ابن عباس وجلس . وقال لأبى صالح :

— أخرج إليهم وقل لهم : من كان لابد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل .

فخرج أبو صالح وأخبر الناس فدخل الناس حتى ملأوا البيت والحجرة .. فقال رجل :

— يا ابن عباس أشياء تختلف على فى القرآن .

فتساءل عبد الله بن عباس : ما هو ؟ أشك فى القرآن ؟

قال الرجل : ليس بالشك ولكن اختلاف .

قال عبد الله بن عباس : فهات ما اختلف عليك من ذلك .

قال الرجل : قال الله تعالى : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ما كنا مشركين » قال « ولا يكتمون الله حديثا » فقد كتموا .

فقال عبد الله بن عباس : أما قوله : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين » فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله لا يغفر إلا لأهل الإسلام ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركاً جحد المشركون فقالوا : والله ربنا ماكنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم بما كانوا يعملون فعند ذلك « يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا » .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله ما لمن قرأ آية الكرسى ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى بن عمران لقى جبريل فقال له : ما لمن قرأ آية الكرسى كذا وكذا مرة ؟ فذكر نوعاً من الأجر لم يقو عليه موسى فسأل ربه أن لا يضعفه عن ذلك ثم أتاه جبريل مرة أخرى فقال له : إن ربك يقول لك : من قال فى دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض فى كل شىء هو فى علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » . فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ فى الصور تشتغل الملائكة .

فقال رجل : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عن فضل تلاوة القرآن .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ـــ أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب القرآن وأصحاب الليل .

ثم أردف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخراب .

قال رجل : يا أبا العباس ما معنى قول الله عز وجل : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ؟

قال عبد الله بن عباس : سائق يسوقها إلى أمر الله تعالى وشهيد يشهد عليها بما عملت .

فقال رجل : يا أبا العباس لو قرأنا وأخطأنا ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قرأ القارىء القرآن فأخطأ أولحن أوكان أعجمياً كتبه الملك كما أنزل .

ثم استطرد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل حملة القرآن على الذى لم يحمله كفضل الخالق على المخلوق .

ثم قال ابن عباس : درج الجنة على قدر آى القرآن بكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومائتا وستة عشر آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض فينتهى به إلى أعلى عليين لها سبعون ألف ركن وهى يا قوته تضىء مسيرة أيام وليالى .

ثم أردف ابن عباس : قال الصادق الصدوق عليه الصلاة والسلام : من استمع حرفاً من كتاب الله ظاهراً كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات ومن قرأ حرفاً من كتاب الله فى صلاة قاعداً كتبت له خمسون حسنة ومحيت عنه خمسون سيئة ورفعت له خمسون درجة ومن قرأ حرفاً من كتاب الله قائماً كتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ورفعت له مائة درجة ومن قرأ فختمه كتب الله عنده دعوة مستجابة أو مؤخرة .

قال رجل : يا أبا العباس حدثنا عن فضائل بعض السور والآيات والبسملة .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتب : فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن .

ثم نظر ابن عباس إلى الذين يجلسون حوله وقال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : تعلموا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما . تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

ثم أردف : قال حبيبي صلى الله عليه وسلم : قارىء سورة الكهف التي تدعى في التوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار .

ثم قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : قارىء اقتربت (اقتربت الساعة وانشق القمر) تدعى في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه .

ثم أشار بيده واستطرد : أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال : « إذا زلزلت» تعدل نصف القرآن و « قل يا أيها الكافرون » تعدل ربع القرآن و « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن .

وقال ابن عباس : من قرأ كل ليلة « إذا وقعت الواقعة » لم يصبه فقر أبدا . ومن قرأ كل ليلة « لا أقسم بيوم القيامة » لقى الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر .

واعتدل عبد الله بن عباس فى جلسته وقال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأجد فى كتاب الله سورة هى ثلاثون آية من قرأها عند النوم كتب له بها ثلاثون حسنة ومحى عنه ثلاثون سيئة ورفع له ثلاثون درجة وبعث الله إليه ملكاً من الملائكة ليبسط عليه جناحه ويحفظه من كل سوء حتى يستيقظ فقلنا : ما هى يا نبى الله ؟

قال : وهى المجادلة تجادل عن صاحبها فى القبر وهى « تبارك الذى بيده الملك » .

ثم تساءل ابن عباس : أتدرون متى كان يعرض ؟

قالوا : لا .

قال عبد الله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الكتاب فى رمضان على جبريل فيصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التى يعرض فيها ما يعرض وهو أجود من الريح المرسلة لا يسأل شيئاً شيئاً إلا أعطاه .

ثم قال ابن عباس : سأل رجل النبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : عليك بالحال المرتحل .

قال الرجل : وما الحال المرتحل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره ويضرب فى آخره حتى يبلغ أوله كلما حل ارتحل .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن سورة القدر .

قال عبد الله بن عباس :

— أنزل الله عز وجل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال الله تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التى اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها « وما أدراك ما ليلة القدر » ؟

فقال الرجل : فى أى يوم هى ؟

فتبسم ابن عباس وقال : كان عمر بن الخطاب يدعونى مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويقول : لا تكلم حتى يتكلموا . فدعاهم فسألهم : أفرأيتم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر : التمسوها فى فى العشر الأواخر أى ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم : ليلة إحدى وعشرين وقال بعضهم : ليلة ثلاث وقال بعضهم : ليلة خمس وقال بعضهم : ليلة سبع . فقالوا وأنا ساكت فقال عمر لى : مالك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتنى أن لا أتكلم حتى يتكلموا فقال : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم فقلت : إنى سمعت الله يذكر السبع فذكر سبع سماوات ومن الأرض مثلهن والأيام السبع والطواف سبع والجمار سبع والسعى بين الصفا والمروة سبع وخلق الإنسان

من سبع ونبت الأرض سبع ونقع فى السجود من أعضائنا على سبع وأعطى من المثانى سبع ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع وقسم الميراث فى كتابه . فأراها فى السبع الأواخر من شهر رمضان فقال عمر : ما قولك نبت الأرض سبع ؟ قلت : قول الله عز وجل « شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا» فتعجب عمر وقال ما وافقنى فيها أحد إلا هذا الغلام الذى لم يستو شئون رأسه والله إنى لأرى القول كما قلت .

قال رجل : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » .

قال ابن عباس : بعث الله موسى بتسع آيات بينات وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهى : العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . « آيات مفصلات .

قال رجل : يقول العلى الحكيم : « للذين استجابوا لربهم الحسنى » .

قال عبد الله بن عباس : يخبر الله تبارك وتعالى عن مآل السعداء فقال « للذين استجابوا لربهم » أى أطاعوا الله ورسوله وانقادوا لأوامره وصدقوا أخباره الماضية والآتية فلهم « الحسنى » وهو الجزاء الحسن .

تساءل رجل : يا ابن عم رسول الله ما هى الخمس اللاتى لا يعلمهن إلا الله ؟

قال عبد الله بن عباس :

— بسم الله الرحمن الرحيم « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت « إن الله عليم خبير » . وهى مفاتيح الغيب التى قال الله تعالى » وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » .

قال رجل : يا أبا العباس ما هى صفات المؤمنين ؟

قال عبد الله بن عباس :

— « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم . . أما المؤمنون فإنهم يؤدون فرائض الله « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » أى تصديقا لا يرجون غير الله « وجلت قلوبهم » أى رقت وخافت . فالوجل فى القلب كاحتراق السعفة .

فعاد الرجل يقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

قال عبد الله بن عباس : سأل أبي بن كعب الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل .

وقوله تعالى : « لا يرهق وجوههم قتر » أى قتام وسواد فى عرصات الحشر .

فقال رجل : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء » .

قال ابن عباس : « مثلا كلمة طيبة » شهادة أن لا إله إلا الله « كشجرة طيبة » وهو المؤمن « أصلها ثابت » يقول : لا إله إلا الله فى قلب المؤمن « وفرعها فى السماء » يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء .

فتساءل رجل : من هم السائحون ؟

قال ابن عباس : الصائمون .

فقال الرجل : أدبار النجوم ؟

قال عبد الله بن عباس : الركعتان من قبل الفجر .

فعاد الرجل يتساءل : أدبار السجود ؟

قال ابن عباس : الركعتان بعد الغروب .

فقال الرجل : النازعات ؟

قال ابن عباس : كلمتان قالهما فرعون . . ما علمت لكم من إله غيرى إلى قومه « أنا ربكم الأعلى » كان بينهما أربعون عاما . . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .

تساءل رجل : كيف علمت الجن عن موت نبي الله سليمان ؟

. قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان سليمان نبي الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول : ما اسمك فتقول : كذا فيقول : لأى شيء أنت ؟ فتقول : لكذا وكذا فإن كانت كتبت وإن كانت لغرس غرست ، فبينما هو يصلى يوماً إذ رأى شجرة فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخرنوب قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت فقال سليمان : اللهم عم على الجن موتى حتى لا تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب . فنحاها عصى فتوكأ عليها فأكلتها الأرضة (دويبة تأكل الخشب) وسقط فوجوه حولا (سنة) . . فتبينت الإنس أن الجن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب حولا . فشكرت الجن الأرضة فكانت تأتيها بالماء حيث كانت .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله أخبرنا عن قوله تعالى : « له مقاليد السماوات والأرض » .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عثمان (ابن عفان) ما سألنى عنها أحد قبلك . . تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولاحول ولاقوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . يا عثمان من قال هذا إذا أصبح وإذا أمسى عشر مرات أعطاه الله ست خصال : أما أولهن فيحرس من إبليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطاراً من الأجر

وأما الثالثة فترفع له درجة فى الجنة وأما الرابعة فيزوج من الحور العين وأما الخامسة فيحضرها اثنا عشر ملك وأما السادسة فله من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وله مع هذا يا عثمان كمن حج واعتمر وقبلت حجته وعمرته فإن مات فى يومه طبع بطابع الشهداء .

قال رجل : كيف أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب .

ثم قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف : آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل .

فتساءل رجل : ماذا نقرأ فى صلاتنا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال ابن عباس : سألت هذا السؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع من علمته ؟ صل ليلة الجمعة أربعة ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس وفى الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان وفى الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة وفى الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله واثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى وارحمنى من أن أتكلف مالا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى وأسألك أن تنور بالكتاب بصرى وتطلق به لسانى وتفرج به عن قلبى وتشرح به صدرى وتستعمل به بدنى وتقوينى على ذلك وتعيننى عليه فإنه لا يعيننى على الخير غيرك ولا يوفق إلا أنت . . فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا تحفظه بإذن الله وما أخطأ مؤمناً قط .

قال رجل : يا ابن عباس ما تفسير قوله تعالى : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

قال عبد الله بن عباس : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء فقام على بابه فقال : إن الله قد أحسن إليكم الثناء فى الطهور فقال « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين»

قال رجل : يا أبا العباس حدثنا عن نزول الكتب السماوية .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلت الصحف على ابراهيم فى ليلتين من رمضان وأنزل الزبور على داود فى ست وأنزلت التوراة على موسى لثمان عشرة من رمضان وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من رمضان .

قال رجل : يقول الله عز وجل « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

فقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره فيقال له : ما ربك ؟ ما دينك ؟ فيثبته الله فيقول : ربى الله ودينى الإسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم أردف : قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : أخرجى إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليتناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من قبل الأرض ؟ ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً من أهل الغائب بغائبهم . فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه يستريح فقد كان فى غم فيقول : قد مات أما أتاكم ؟ يقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية .

فتساءل رجل : ما قولك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»؟

قال ابن عباس : كان الله تعالى بعث النبي عليه الصلاة والسلام إلى أمته فلبث فيهم إلى انقضاء أجله من الدنيا ثم يقبضه الله تعالى إليه فتقول الأمة من بعده أو من شاء منهم : إنه على منهاج النبي وسبيله فينزل الله تعالى بهم البلاء فمن ثبت منهم على ماكان عليه النبي فهو الصادق ومن خالف إلى غير ذلك فهو الكاذب .

قال رجل : يا أبا العباس يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم » .

قال عبد الله بن عباس : نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان . . فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتى فهو منى ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى .

قال رجل : ما قولك يا ابن عم رسول الله فى قوله تعالى : « ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ؟

قال عبد الله بن عباس : مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك . . فأنزل الله ما قرأت .

قال رجلى :

— « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » حدثنا بما سمعت فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى سرية ومعه فى السرية عمار بن ياسر إلى حى من قريش أو قيس حتى

إذا دنوا من القوم جاءهم النذير فهربوا وثبت رجل منهم كان قد أسلم هو وأهل بيته فقال لأهله : كونوا على رحلى حتى آتيكم فانطلق حتى دخل فى العسكر فدخل على عمار بن ياسر فقال له : يا أبا اليقظان إنى قد أسلمت وأهل بيتى فهل ذلك نافعى ؟ أم أذهب كما ذهب قومى ؟ فقال عمار : أقم فأنت آمن فرجع الرجل فقام وصبحهم خالد بن الوليد فوجد القوم قد نذروا وذهبوا فأخذ الرجل فقال عمار : إنه ليس على الرجل سبيل وإنى قد أمنته وقد أسلم قال خالد : وما أنت وذاك ؟ أتجير على وأنا الأمير ؟ قال عمار : نعم أجير عليك وأنت الأمير إن الرجل قد أسلم ولو شاء لذهب كما ذهب قومه فتنازعا فى ذلك حتى قدما المدينة فاجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر عمار للنبى عليه الصلاة والسلام الذى كان من أمر الرجل فأجاز أمان عمار ونهى يومئذ أن يجير رجل على أمير فتنازع خالد وعمار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تشاتما فقال خالد بن الوليد : أيشتمنى هذا العبد عندك ؟ أما والله لولاك ما شتمنى فقال النبى عليه الصلاة والسلام : كف يا خالد عن عمار فإنه من يبغض عمارا يبغضه الله ومن يلعن عمارا يلعنه الله . وقام عمار فانطلق فأتبعه خالد وأخذ بثوبه فلم يزل يترضاه حتى رضى عنه قال : فيه نزلت « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » يعنى أمراء السرايا « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » حتى يكون الرسول هو الذى يقضى فيه .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله ماذا عن قول الحق تبارك وتعالى « وعدكم مغانم كثيرة » ؟

قال عبد الله بن عباس : المغانم فتوح من لدن خيبر تأخذونها وتلونها وتغنمون ما فيها عجل لكم من ذلك خيبر وكف أيدى الناس من قريش بالصلح يوم الحديبية « ولتكن آية للمؤمنين » شاهداً على بعدها ودليلا على انجازها « وأخرى لم تقدروا عليها » على علم وقتها أفتها عليكم فارس والروم » « قد أحاط الله بها » قضى الله بها أنها لكم .

قال رجل : ماذا عن « إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض » .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثنى الله حين أسرى بى إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس .

قال رجل : « إلا من أتى الله بقلب سليم » ؟

قال ابن عباس : شهادة أن لا إله إلا الله .

فتساءل رجل : ماذا عن قوله تعالى « يعلم خائنة الأعين» ؟

قال عبد الله بن عباس : إذا أنت نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ؟

فأردف الرجل : « وما تخفى الصدور » ؟

قال ابن عباس : إذا أنت قدرت عليها : تزنى بها أم لا ؟

فقال رجل : « والله يقضى بالحق » ؟

قال ابن عباس : قادر أن يجزى بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة .

وسئل ابن عباس ما بلغ من هم يوسف فقال : جاس يحل هميانه فصيح به : يا يوسف لا تكن كالطير كان له ريش فإذا زنى قعد ليس له ريش .

قال رجل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » ؟

قال ابن عباس : الرجلان يجلسان عند القاضى فيكون لى القاضى وأعرضه لأحد الرجلين على الآخر .

قال رجل : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) ؟

قال عبد الله بن عباس : نزلت فى قريش فقد كانوا ينكرون انزال الكتاب من السماء وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر كما قال تعالى : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس » .

قال رجل : « إذا زلزلت الأرض زلزالها » ؟

قال ابن عباس : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اقرئني يا رسول الله قال له : اقرأ ثلاثا من ذوات الراء فقال له الرجل : كبر سني واشتد قلبي وغلظ لسانى قال : اقرأ من ذوات حم فقال مثل مقالته الأولى فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اقرأ ثلاثا من المسبحات فقال مثل مقالته ثم قال : ولكن اقرئني يارسول الله سورة جامعة فأقرأه « إذا زلزلت الأرض زلزالها » حتى إذا فرغ منها قال الرجل : والذى بعثك بالحق نبياً لا أزيد عليها أبدا . . ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح الرويجل أفلح الرويجل .

قال رجل : « والنازعات غرقا » ؟

قال عبد الله بن عباس : الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط أو هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق فى النار.

استطرد الرجل : « والناشطات نشطا » ؟

قال عبد الله بن عباس : هى النجوم .

أردف الرجل : « والسابحات سبحا » ؟

قال ابن عباس : الموت .

أضاف الرجل : « فالسابقات سبقا » ؟

قال عبد الله بن عباس : هى الخيل فى سبيل الله .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « ولقد أتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أنزل على سورة لم ينزلها على أحد من الأنبياء والمرسلين قبلى قال الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبادى فاتحة الكتاب جعلت نصفها لى ونصفها لهم وآية بينى وبينهم فإذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم قال الله : عبدى دعانى باسمين رقيقين أحدهما أرق من الآخر فالرحيم أرق من الرحمن وكلاهما رقيقان فإذا قال العبد : الحمد لله قال : شكرنى عبدى وحمدنى

فإذا قال : رب العالمين قال الله : شهد عبدى أنى رب العالمين يعنى برب العالمين رب الجن والإنس والملائكة والشياطين وسائر الخلق ورب كل شىء وخالق كل شىء فإذا قال : الرحمن الرحيم قال : مجدنى عبدى فإذا قال : مالك يوم الدين يعنى بيوم الدين يوم الحساب قال الله : شهد عبدى أنه لا مالك ليوم الحساب أحد غيرى وإذا قال : مالك يوم الدين فقد أثنى على عبدى إياك نعبد يعنى الله أعبد وأوحد وإياك نستعين قال الله : هذا بينى وبين عبدى إياك نعبد فهذه لى وإياك نستعين فهذه له ولعبدى ما سأل بقية هذه السورة اهدنا أرشدنا الصراط المستقيم يعنى دين الإسلام لأن كل دين غير الإسلام فليس بمستقيم الذى ليس فيه التوحيد . صراط الذين أنعمت عليهم يعنى به النبيين والمؤمنين أنعم الله عليهم بالإسلام والنبوة غير المغضوب عليهم وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى أضلهم الله بعد الهدى فبمعصيتهم غضب الله عليهم فجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت يعنى الشيطان أولئك شر مكاناً فى الدنيا والآخرة يعنى شر منزلا من النار وأضل عن سواء السبيل من المؤمنين يعنى أضل عن قصد السبيل المهدى من المسلمين فإذا قال الإمام : ولا الضالين فقولوا : آمين يجبكم الله قال لى : يا محمد هذه نجاتك ونجاة أمتك ومن اتبعك على دينك من النار .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا بما سمعت من النبى عليه الصلاة والسلام عن قوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » .

قال ابن عباس : قرأ النبى عليه الصلاة والسلام « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » قال : اللهم أنت أمرت بالدعاء وتكافلت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد أنك رب واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من فى القبور .

ثم استطرد ابن عباس : وكان سبب نزول هذه الآية أن إعرابياً قال : يا نبي الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، ولما خرج النبي عليه الصلاة والسلام للفتح حصون خيبر كان المسلمون لا يصعدون شرفاً ولا يعلون شرفاً ولا يهبطون وادياً إلا رفعوا أصواتهم بالتكبير فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيرا إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .

فقال رجل : ماذا يعنى قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» ؟ .

قال عبد الله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحسن الشعر ولا يحبه وكان يتمثل بهذا البيت :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا .

فقال أبوبكر الصديق : يارسول الله : ليس هكذا ولكن :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا . أشهد أنك رسول الله »

ويوم حنين قال النبي عليه الصلاة والسلام وهو راكب بغلته وهو يقدم بها فى نحور هوازن :

أنا النبي لاكذب   أنا ابن عبد المطلب

فقد جرى هذا على لسانه صلى الله عليه وسلم دون قصد فقد علمه الله القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

قال رجل : ماذا عن هذه الآية يا ابن عم رسول الله ؟ « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ؟

قال عبد الله بن عباس : لما نزلت هذه الآية قال النبي عليه الصلاة

والسلام : ذاك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيتى صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ألا يذكر الله يتحابون ؟

وقال رجل : « فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا .

استطرد الرجل : « وكنتم أزواجا ثلاثة » ؟

قال عبد الله بن عباس : ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين وهم جمهور أهل الجنة وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار — عياذا بالله من صنيعهم — وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين .

قال رجل : « والذين آمنوا وأتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء » ؟

قال ابن عباس : إن الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه .

قال رجل : « إنا فتحنا لك فتحاً مبينا » ؟

قال عبد الله بن عباس : أنزلت سورة الفتح لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى القعدة من سنة ست من الهجرة حين صد المشركون النبى عليه الصلاة والسلام والذين معه عن الوصول

إلى المسجد الحرام فيقضى عمرته وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة فكان صلح الحديبية فجعل الله ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه بعد ذلك .

قال رجل : « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم » ؟

قال عبد الله بن عباس : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج الأنصارى : ما ولد لك ؟ قال : يا رسول الله وما عسى أن يولد لى ؟ إما غلام وإما جارية قال النبى عليه الصلاة والسلام : فمن يشبه ؟ قال : ما عسى أن يشبه ؟ إما أمه وإما أباه فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أمه لا تقولن هذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله « فى أى صورة ما شاء ركبك » ؟ من نسلك ما بينك وبين آدم .

قال رجل : « إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » .

قال ابن عباس : لما نزلت سورة الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما هذه النحيرة التى أمرنى بها ربى عز وجل ؟ قال : ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع فإنه من صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع . إن لكل شىء زينة وزينة الصلاة رفع الأيدى عند كل تكبيرة . وقال النبى عليه الصلاة والسلام : رفع الأيدى فى الصلاة من الاستكانة فقال على بن أبى طالب : فما الاستكانة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تقرأ هذه الآية « فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » وهو الخضوع .

قال رجل : « فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا » ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث أصناف : صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا

على وجوههم فقيل : يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك ؟ فقد أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله حول جهنم قعودا .

فأردف الرجل : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا » ؟

قال ابن عباس : يعنى من كل أمة يحبس الأول عن الآخر حتى إذا تكاملت المدة أتاهم جميعاً ثم بدأ بالأكابر فالأكابر جرما ثم ينزع من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم فى الشر .

قال رجل : ماذا عن قوله تعالى : « إذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ؟

قال ابن عباس : سأل رجل من الأنصار (نعيم بن ربيعة) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن قوله تعالى « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » فقال : سألت النبى عليه الصلاة والسلام كما سألتنى فقال : خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمنى فأخرج ذروا فقال : ذرو ذرأتهم للجنة ثم مسح ظهره بيده الأخرى وكلتا يديه يمين فقال : ذرو ذرأتهم للناس يعملون فيما شئت من عمل ثم أختم لهم بأسوأ أعمالهم فأدخلهم النار .

قال رجل : « اليوم أكملت لكم دينكم » ؟

قال ابن عباس : قال رجل من اليهود : لوعلمنا أى يوم نزلت هذه الآية لاتخذناه عيداً فقال عمر بن الخطاب : الحمد لله الذى جعله لنا عيداً واليوم الأول نزلت يوم عرفة واليوم الثانى يوم النحر فأكمل الله ذلك الأمر فعرفنا أن الأمر بعد ذلك فى انتقاص .

قال رجل : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا » ؟

قال عبد الله بن عباس : سألت أم المؤمنين عائشة النبي عليه الصلاة والسلام ما سألت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء من هذه الأمة يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة أنا منهم برىء وهم منى براء .

فتساءل رجل : يا ابن عم رسول الله أخبرنى عن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ؟

قال عبد الله بن عباس : نزلت هذه الآية فى الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه (يقطعه) فيعزل الجيد ناحية فإذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردىء فقال الله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » .

قال رجل : يا أبا العباس أخبرنى عن قوله عز وجل « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » .

فقال عبد الله بن عباس : سأل على بن أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وقال : يا رسول الله هل الوفد إلا الركب ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب وإذا شجرة هى باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحدى العينين فيغسل ما فى بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أشعارهم ولا أبشارهم بعدها أبدا فيضربون الحلقة على الصفحة فلو سمعت طنين الحلقة يا على فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فإذا رآه خر له ساجدا فيقول له : ارفع رأسك إنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم قال : تقول أنت حبى وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدا وأنا الناعمة

فلا أبأس أبدا وأنا الخالدة فلا أموت أبدا وأنا المقيمة فلا أظعن أبدا فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما فيها طريقة تشاكل صاحبتها وفى البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الحلل يقضى جماعهن فى مقدار ليلة من لياليكم هذه بجرى من تحتهم الأنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصرها الرجال بأقدامها وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فستحلى الثمار فإن شاء أكل قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئاً فيشتهى الطعام فيأتيه طير بيض فترتفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أى لون شاء . ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول « سلام عليكم تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعلمون » .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر » فقال : هو نهر فى الجنة عمقه فى الأرض سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل شاطئه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الأنبياء .

وسأل رجل ابن عباس عن معنى قوله عز وجل « حور مقصورات فى الخيام » فقال : الخيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق فى دوره خمسون فرسخاً يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل .

وقال رجل : يا ابن عم رسول الله ماذا عن قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون » ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال : تكلمى فقالت : « قد أفلح المؤمنون » فقال : وعزتى لا يجاورنى فيك بخيل » .

ثم استطرد : قال النبي عليه الصلاة والسلام : خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء وملاطها مسك حشيشها الزعفران حصباؤها اللؤلؤ ترابها العنبر ثم قال : لها انطقي قالت : « قد أفلح المؤمنون » فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل .

ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها : تكلمي فقالت : « قد أفلح المؤمنون » فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل .

وسئل عبد الله بن عباس عن قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » فقال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه (فكيف بمن ليس له طعام غيره) ؟

وسأل رجل : يا أبا عباس ما معنى قوله تعالى : « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا » .

قال عبد الله بن عباس : من مسيرة مائة عام وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك . لو تركت لأتت على كل بر وفاجر « سمعوا لها تغيظاً وزفيرا » تزفر زفرة ولا تبقى قطرة دمع إلا ندرت ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها تقطع اللهوات والحناجر .

ثم عاد الرجل يتساءل : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرني الله عز وجل أن المسلم إذا أسلم لأمر الله ورجع فاسترجع عند المصيبة كتب له ثلاث خصال من الخير الصلاة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً يرضاه .

ثم استطرد : قال النبي عليه الصلاة والسلام : أعطيت امتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم عند المصيبة « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » فقال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : الأضرار فى الوصية من الكبائر ثم تلا « تلك حدود الله فلا تعتدوها » .

وسأل رجل عبد الله بن عباس : يا ابن عم رسول الله ماذا عن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » ؟

قال عبد الله بن عباس : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوماً على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا فتى قل لا إله إلا الله فقالها فبشره بالجنة فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال : أوما سمعتم قوله تعالى « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » ؟ .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله . . ثم قرأ النبي عليه الصلاة والسلام « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

وسأل رجل : يا أبا عباس ماذا عن قوله تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » ؟

قال عبد الله بن عباس : تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً وأيما عبد ثبت لحمه من سحت فالنار أولى به .

ثم عاد الرجل يتساءل : يا ابن عم رسول الله ما هو الظل الممدود ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها فيخرج أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون فى ظلها . فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا من طريق فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال حين يصبح « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » أدرك ما فاته فى يومه ذلك ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته .

وسأل رجل : يا أبا عباس ماذا عن قوله عز وجل : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن أرى موطنى فلم يرد عليه النبى عليه الصلاة والسلام حتى نزلت « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

وسئل ابن عباس عن فضل سورة تبارك فقال : ضرب بعض أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك (تبارك الذى بيده الملك) حتى ختمها فأتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال : يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر .

ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام :

— وددت أنها (سورة الملك أو تبارك) فى قلب كل مؤمن .

وسأل رجل عبد الله بن عباس : يا أبا عباس ما معنى قومه تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

فقال عبد الله بن عباس : يوم حنين انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعون إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوه أعدائه بقبضة من الأرض فانهزموا .

ثم استطرد : ويوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : ناولنى كفاً من حصى فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقى أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت « وما رميت إذ رميت ولكن الله الله رمى » .

فعاد الرجل يتساءل : يا ابن عم رسول الله فماذا عن قول الله عز وجل « إنا كفيناك المستهزئين » .

فقال عبد الله بن عباس عن النبى عليه الصلاة والسلام :

المستهزئون هم : الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب أبو زمعة من بنى أسد بن عبد العزى والحارث بن عيطل السهمى والعاص بن وائل السهمى فأتاه جبريل عليه السلام فشاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد بن المغيرة فأشار إلى اجله (عرق

فى بطن الذراع (فقال : ما صنعت شيئاً فقال : اكفيتكه ثم أراه الحارث بن عيطل السهمى فأومأ إلى بطنه فقال : ما صنعت شيئاً فقال : اكفيتكه ثم أراه العاص بن وائل فأومأ إلى اخمصه فقال : ما صنعت شيئاً فقال : اكفيتكه . فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب اكحله فقطعها . وأما الأسود بن عبد المطلب فعمى فمنهم من يقول عمى هكذا ومنهم من يقولون : نزل تحت شجرة فجعل يقول : يا بنى أأ تدفعون عنى قد هلكت أطعن بالشوك فى عينى فجعل يقولون : ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه وأما الأسود بن عبد يغوث فخرجت فى رأسه قروح فمات منها وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك دخلت فى رجله شبرقة (نبت حجازى يؤكل وله شوك (امتلأت منها فمات .

ثم أردف :

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس (المستهزئين) بمكة فجعلوا يغمزون فى قفاه يقولون : هذا الذى يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل بإصبعه فوقع مثل الظفر فى أجسادهم فصارت قروحاً حتى نتنوا فلم يستطع أحد أن يدنو منهم فأنزل الله عز وجل : « انا كفيناك المستهزئين » .

وسئل ابن عباس عن قوله : « رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » .

قال عبد الله بن عباس : جاء ابراهيم عليه السلام بأم اسماعيل وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت (الكعبة) عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى (جعل قفاه لجهة هاجر وابنه اسماعيل منطلقاً إلى الشام) ابراهيم منطلقاً فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولاشىء ؟

فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها قالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : إذا لا يضيعنا . . ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنية (عند الحجون) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال : «رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم «حتى بلغ يشكرون» . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد مافى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتأوى (يتلبط يتمرغ وضرب بنفسه الأرض (فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا (جبل أبى قبيس) أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً فهبطت (نزلت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها (قميصها) ثم سعت سعى الإنسان المجهود (الذى أصابه الأمر الشاق) حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

ثم قال ابن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : فلذلك سعى الناس بينهما (الصفا والمروة) فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه (اسكتى) — تريد نفسها — ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغث (إن كان عندك عون فأعنى) فإذا هى بالملك (جبريل عليه السلام) عند موضع زمزم فبحث بعقبه — أو قال بجناحه — حتى ظهر الماء (ماء زمزم) فجعلت تحوضه (تجعله مثل الحوض) وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف الماء فى سقائها وهو يفور (ينبع نبعاً شديداً) بعد ما تغرف (بقدر ما تغرف) .

ثم استطرد عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : رحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم — أو قال لو لم تغرف من الماء — لكانت زمزم عيناً معينا (ظاهراً جارياً على وجه الأرض) قال فشربت وأرضعت ولدها قال لها الملك : لا تخافوا الضيعة (الهلاك) فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من

الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك (هي وولدها) حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً (يحوم حول الماء ويرود ولا يمضى عنه (فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جريا (رسولا يجرى مجرى مرسله) أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء (الحق مختص بى إن شئت منحت أو منعت) قالوا : نعم .

ثم أردف ابن عباس :

قال النبى عليه الصلاة والسلام : فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم (جرهم وقحطان) فنزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشب الغلام (نشأ وكبر) وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك (بلغ (زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (يتفقد حال تركته (فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا (يصيد لنا) ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام (أبلغيه سلامى) وقولى له يغير عتبة بابه (كناية عن طلاق امرأته) فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألنى : كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك قال : ذاك أبى وقد أمرنى أن أفارقك الحق بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ماشاء الله (قدر مشيئة الله تعالى) ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه قالت : خرج يبتغى لنا قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم قالت : نحن بخير (حمدنه جل وعلا فى خير إلهى وفيض ربانى (وسعة وأثنت على الله قال : ما طعامكم؟

قالت : اللحم قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه (لتعمه البركة بدعائه (قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه .

واستطرد ابن عباس :

فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : بركة دعوة ابراهيم . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك (أديم عصمتك فولدت لاسماعيل عشرة ذكور (ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى (هو السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه) نبلا له تحت تحت دوحة (شجرة كبيرة) قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (من الاشتياق والمصافحة) قال : يا اسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك قال : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ههنا وأشار إلى مكة (مجتمع حجارة كراية) مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد (رفع ابراهيم الأساس أي قواعد البيت قبل ذلك (من البيت (ورفعها البناء عليها (فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة (وابراهيم على المقام ينزل به لأخذ الحجر من اسماعيل ثم يعلمو به فيضعه محله من البناء (وابراهيم يبني (كان عمر ابراهيم يومئذ مائة سنة وعمر اسماعيل ثلاثين سنة (حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا (نزل عليه الركن والمقام من الجنة (الحجر — الحجر الأسود — فوضعه له فقام عليه (على المقام) وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ربنا تقبل (بناء البيت) منا إنك أنت السميع العليم .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » فقال عبد الله بن عباس : ان اليقين (رؤية العيان بثبات قوة الإيمان بالله تعالى وحده أو مشاهدته علام الغيوب بصفاء القلوب (والتوكل (رجوعك إلى الله تعالى واعتمادك على مولاك (من صفات المؤمن من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط (الرجل وقبيلته (والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذا رفع لى سواد عظيم (أشخاص كثيرة أى أمته المؤمنون) فظننت أنهم أمتى فقيل لى : هذا موسى وقومه ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم عظيم فقيل لى : أنظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى : أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب .

ثم استطرد : ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم (تكلم) فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله — وذكروا أشياء — فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون (يطلبون الرقية لهم من الغير) وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : سبقك بها عكاشة .

ثم قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لك أسلمت (استسلمت لحكمك) وبك آمنت (صدقت) وعليك توكلت وإليك أنبت (رجعت إلى الخير) وبك (بالنصرة والبرهان قصمت أعداء الدين) خاصمت اللهم أعوذ بعزتك (أعوذ بعزتك وألتجيء بقوتك وقدرتك وسلطانك) لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى (القائم بتدبير الخلق) الذى تموت والجن والإنس يموتون .

وسئل ابن عباس عن معنى « حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال :

— قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وقال رجل : يا أبا عباس ما معنى قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا من حيث لا يحتسب .

عاد الرجل يتساءل : يا ابن عم رسول الله ما معنى قول الله عز وجل « بالعشى والإشراق » ؟ .

قال ابن عباس : كنت أمر بهذه الآية ما أدرى ما هى قوله « بالعشى والإشراق » حتى حدثتنى أم هانىء بنت أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فى جفنه كأنى أنظر إلى أثر العجين فيها فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال : يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق .

وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه . . » .

فقال ابن عباس : كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب إذ جاء كتاب أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فكبر أمير المؤمنين عمر فقلت : اختلفوا فقال : أف وما يدريك ؟ فغضب فأتيت منزلى فأرسل إلى بعد ذلك فاعتللت (اعتذرت) له فقال : عزمت عليك إلا جئت فأتيته فقال : كنت قلت شيئاً قلت : استغفر الله لا أعود إلى شىء بعدها فقال : عزمت عليك إلا أعدت على الذى قلت قلت : كتب إلى أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا فقلت : اختلفوا قال : ومن أى شىء عرفت ؟ قلت : قرأت « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه » حتى انتهيت إلى قوله تعالى : « والله لا يحب الفساد » فإذا فعلوا ذلك لم يصبر

صاحب القرآن ثم قرأت « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » فقال أمير المؤمنين عمر : صدقت والذى نفسى بيده .

وسئل ابن عباس عن قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فقال :

قدم عيينة بن حصن الفزارى فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه فاستأذن له فأذن له فلما دخل عيينة قال : هى يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجذل (ما عظم من الحطب ويبس) ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها أمير المؤمنين عمر حين تلاها عليه ،

وسئل ابن عباس عما يقال عند السجدة فقال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى رأيت فى هذه الليلة فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فرأيت كأنى قرأت سجدة فرأيت الشجرة كأنها تسجد بسجودى فسمعتها وهى ساجدة وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً واجعلها لى عندك ذخراً وضع عنى بها وزرا واقبلها منى كما تقبلت من عبدك داود .

قال ابن عباس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ السجدة فسمعته وهو ساجد يقول مثل ما قال الرجل عن كلام الشجرة .

وقال رجل : يا ابن عباس ما فضل فاتحة الكتاب ؟

قال عبد الله بن عباس : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى عليه الصلاة والسلام سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى

قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته .

وقال رجل : يا ابن عم رسول الله ان القرآن تفلت من صدرى .

فقال ابن عباس : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء على بن أبي طالب فقال : بأبى أنت تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا الحسن أفلا أعلمك ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ قال : أجل يا رسول الله فعلمنى قال : إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهورة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخى يعقوب لبنيه : سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم فى وسطها فإن لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب الم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فإذا فرغت من التشهد فأحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قال : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا ترام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تستعمل به بدنى فإنه لايعيننى على الحق غيرك ولا يؤتينه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أوخمساً أو سبعاً تجاب بإذن الله والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمناً قط .

ثم قال ابن عباس : فوالله ما لبث على خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك المجلس فقال · يارسول الله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحو هن فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى ولقد كنت أسمع الحديث . فإذا رددته وأنا اليوم أسمع الحديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عند ذلك مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن .

وسأل رجل : يا أبا عباس ما معنى قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » .

قال عبد الله بن عباس : مر النبى عليه الصلاة والسلام بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنكم الملأ الذين أمرنى الله أن أصبر نفسى معكم ثم تلا الآية « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » إلى قوله تعالى : « وكان أمره فرطا » أما أنه ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة أن سبحوه الله تعالى سبحوه وإن حمدوا الله تعالى حمدوه وإن كبروا الله كبروه ثم يصعدون إلى الرب جلى ثناؤه — وهو أعلم منهم — فيقولون : يا ربنا عبادك سبحوك فسبحنا وكبروك فكبرنا وحمدوك فحمدنا فيقول ربنا : يا ملائكتى أشهدكم أنى غفرت لهم فيقولون : فيهم فلان وفلان الخطاء فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

فقه ابن عباس :

كان حب عبد الله بن عباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم حباً كبيراً جعله يهتم بسنة النبى عليه الصلاة والسلام دخل يوماً مع خالد بن الوليد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالتهما ميمونة بنت الحارث فقدمت لهم لبناً فى إناء أهدى لها فشرب النبى عليه الصلاة والسلام وكان ابن عباس عن يمينه وخالد بن الوليد على شماله فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس :

— الشربة لك وإن شئت أثرت بها خالدا (لأن ابن عباس كان يمين النبي عليه الصلاة والسلام وخالد بن الوليد كان عن شماله وكان أسن من ابن عباس) .

فقال عبد الله بن عباس : ماكنت لأوثر سؤرك (السؤر ما بقي من الشراب في الإناء) على أحدا .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام :

— من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن .

وروى عبد الله بن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من ألف وستمائة حديث من الأحاديث النبوية الشريفة وخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الأحاديث فانفرد ابن عباس بروايتها منها حديث : يا غلام ألا أعلمك كلمات . . ؟ وحديث بت عند خالتي ميمونة فقام النبي عليه الصلاة والسلام فأتى حاجته فغسل وجهه ويديه ثم نام ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها (ما يشد به فم القربة) ثم توضـ وضوءاً بين وضوأين لم يكثر وقد أبلغ (أكمل الوضوء) فصلى فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أتقيه (أرقبه) فتوضأت فقام يصلي فقمت عن يساره فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ فأذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ . إلا أن القسم الأكبر من الأحاديث النبوية الشريفة تلقاها ابن عباس عن زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومخالطته لعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وسعيه إلى شيوخ الصحابة فكم بذل من جهد في هذا السبيل حتى أصبح من كبار رواة السنة من الصحابة . وقد ظل ابن عباس حريصاً على جمع السنة وحفظها حتى قال :

— حفظت السنة كلها .

ولم تشغله إدارة الحكم عندما قدم البصرة والياً عليها فقد بادر بالاتصال

بأبى موسى الأشعرى ليسأله عن السنة . . وقد وضع ابن عباس لعلماء الحديث أسس علم أصول الحديث .

قام الناس يتهافتون على تقبيل يدى ترجمان القرآن وهم يدعون له أن يزيده الله علما .

فقال عبد الله بن عباس لأبى صالح :

— أخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل .
فخرج أبوصالح فآذنهم فدخلوا . فشكا رجل الجوع والفقر . .

فقال ابن عباس : سمعت عمر بن الخطاب يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فوجد أبا بكر فى المسجد فقال : ما أخرجك فى هذه الساعة ؟ قال : أخرجنى الذى أخرجك يا رسول الله . وجاء عمر بن الخطاب فقال : ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ قال : أخرجنى الذى أخرجكما . فقعد عمر وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهما ثم قال : هل بكما قوة تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاماً وشرابا وظلا ؟ قال عمر وأبوبكر : نعم قال النبى عليه الصلاة والسلام : سيروا بنا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى . فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديهما فسلم فاستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم وراء الباب تسمع الكلام وتريد أن يزيد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم خلفه فقالت : يارسول الله قد سمعت والله تسليمك ولكن أردت أن تزيدنا من صلاتك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً وقال لها : أين أبو الهيثم ما أراه ؟ قالت هو قريب ذهب يستعذب لنا الماء ادخلوا فإنه يأتى الساعة إن شاء الله . فبسطت لهم بساطاً تحت شجرة فجاء أبو الهيثم وفرح بهم وقرت عينه بهم وصعد على نخلة فصرم (قطع ثمر النخلة) عذقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أبا الهيثم قال : يا رسول الله تأكلون من رطبه ومن بسره ومن تذنوبه . ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا من النعيم الذى تسألون عنه . وقام أبو الهيثم ليذبح لهم شاة فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

إياك واللبون . وقامت أم الهيثم تعجن لهم وتخبز . ووضع النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر وعمر رءوسهم للقائلة فانتبهوا وقد أدرك طعامهم فوضع الطعام بين أيديهم فأكلوا وشبعوا وحمدوا الله وردت عليهم أم الهيثم بقية العذق فأكلوا من رطبه ومن تذنوبه فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لهم بخير ثم قال لأبي الهيثم : إذا بلغك أن قد أتانا رقيق فأتنا فقالت أم الهيثم : لو دعوت لنا ؟ فقال : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . قال أبو الهيثم فلما بلغه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق أتاه فأعطاه رأساً فكاتبه على أربعين ألف درهم فما رأى رأساً أعظم بركة منه .

قال الرجل : زادك الله علماً يا أبا العباس فقد كادت أن تغلبني نفسي .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن الحج .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج جهاد والعمرة تطوع .

ثم قال وهو يشير بيده : لما خرج الناس مع النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم : الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة إن الحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة والماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل : ما حسنات الحرم ؟ قال : كل حسنة مائة ألف حسنة .

قال الرجل : ما هي محظورات الحج يا أبا العباس ؟

قال ابن عباس : المحظورات : حدثنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام فقال : الرفث : الإعرابة (الإفحاش في القول والرفث) والتعرض للنساء بالجماع والفسوق : المعاصي كلها والجدال : جدال الرجل صاحبه .

ثم استطرد ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل الله تعالى في كل يوم (من أيام الحج) مائة رحمة ستين منها على الطائفين بالبيت وعشرين على أهل مكة وعشرين على سائر الناس .

قال الرجل : ماذا عن الصلاة فى البيت الحرام ؟

قال عبد الله بن عباس : تجهز يوماً الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ليذهب فيصلى فى بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء النبى عليه الصلاة والسلام يودعه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يخرجك حاجة أم تجارة ؟ فقال الأرقم : لا يارسول الله بأبى أنت وأمى ولكن أريد أن أصلى فى بيت المقدس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام . . فجلس الأرقم بن أبى الأرقم ولم يذهب إلى بيت المقدس .

قال رجل : ياأبا العباس حدثنا عن فضل الصلاة .

قال ابن عباس : كنت أجلس بجانب عثمان بن عفان فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام فقال : أرأيتم لو أن بفناء أحدكم نهراً يجرى يغتسل فيه كل يوم مرات ماكان يبقى من درنه؟ قالوا : لا شىء قال : فإن الصلاة تذهب الذنوب كما يذهب هذا الماء الدرن .

ثم أردف : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ننتظر الصلاة فقام رجل من الإعراب فقال : إنى أصبت ذنباً فأعرض عنه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قام الأعرابى وأعاد القول فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الوضوء؟ قال الأعرابى : بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها كفارة ذنبك .

فتساءل الرجل : وتاركها ؟

قال عبد الله بن عباس : سأل رجل على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين ما ترى فى امرىء لايصلى ؟ قال : من لم يصل فهو كافر .

قال الرجل : ما هى أوقات الصلاة الخمسة ؟

قال عبد الله بن عباس : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى (عبد الله بن قيس بن سليم وكان عمر قد استعمله على البصرة) أن صل الظهر إذا زالت الشمس عن بطن السماء وصل العصر إذا تصوبت الشمس وهى بيضاء نقية وصل المغرب إذا وجبت الشمس وصل العشاء إذا غاب الشفق أى حين شئت (كان يقال إلى نصف الليل درك والإدراك اللحاق مشى حتى أدركه) وما بعد ذلك تفريط وصل الصبح والنجوم بادية مشتبكة وأطل القراء ة واعلم أن جمعاً بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر .

قال رجل : وماذا عن الوتر يا أبا العباس ؟

قال عبد الله بن عباس : كان النبى عليه الصلاة والسلام يوتر بثلاث يقرأ فيهن بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد .

فتساءل رجل : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الظهر والعصر ؟

قال ابن عباس . لا .

قال الرجل : لعله كان يقرأ سراً فيما بينه وبين نفسه .

فقال عبد الله بن عباس : هذه شر من الأولى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً مأموراً بلغ ما أرسل به وما خصنا بشىء دون الناس ليس ثلاثا أمرنا أن نسبغ الوضوء ولا نأكل الصدقة ولا ننزىء حماراً على فرس .

عاد الرجل يتساءل : ماذا عن التأمين يا ابن عم رسول الله ؟

قال ابن عباس : كان النبى عليه الصلاة والسلام إذا قال : ولا الضالين قال : آمين يرفع بها صوته . وكان يقول لبلال بن رباح : لا تسبقنى بآمين ،

ثم أردف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وافقت آمين فى الأرض آمين فى السماء غفر للعبد ما تقدم من ذنبه .

قال رجل : يا أبا العباس ماذا عن تحريك الرجل أصبعه فى الصلاة ؟

قال عبد الله بن عباس : ذلك الإخلاص .

قال الرجل : ماذا عن المفسدات ؟

قال عبد الله بن عباس : النفخ فى الصلاة بمنزلة الكلام ومن صلى وفى ثوبه دم أو احتلام علم به بعد فلا يعيد الصلاة . كما نهانا النبي عليه الصلاة والسلام عن مرافقة الأخبثين فقال : لا يصلين أحدكم وهو يدافع بولا وطوفاً يعنى الغائط .

قال رجل : ماذا عن الوقت المكروه ؟

قال عبد الله بن عباس : شهد عندى رجال مرضيون وأرضاهم عندى عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وعن صلاة بعد الصبح حتى نشرق الشمس .

فعاد الرجل يتساءل : وماذا عن المكان المكروه ؟

قال ابن عباس : نهى النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة فى المقبرة ولعن قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ونهى عن الصلاة بأرض بابل فإنها ملعونة .

ثم استطرد : وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى مبارك الإبل فقال : لا تصلوا فيها وسئل عن الصلاة فى مرابض الغنم فقال : صلوا فيها فإنها بركة .

قال رجل : يا أبا العباس حدثنا عن فضل صلاة الجماعة .

قال بن عباس : من سمع النداء (الآذان) فلم يجب فلا صلاة له . . إلا من علة أو عذر . ولقد سمعت عمر بن الخطاب يقول : لأن أصلى العشاء والصبح فى جماعة أحب إلى من أن أحيي الليل كله .

وتساءل الرجل : وماذا عن انتظار الصلاة ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : لا يزال أحدكم فى صلاة مادام فى مصلاه ينتظر الصلاة .

قال رجل : وماذا عن صلاة الجمعة يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : جاء اعرابى إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله بلغنى أنك تقول : الجمعة إلى الجمعة والصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنب الكبائر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . . ثم زاده فقال : الغسل يوم الجمعة كفارة والمشى إلى الجمعة كل قدم منها كعمل عشرين سنة فإذا فرغ من صلاة الجمعة أجيز بعمل مائتى سنة .

قال الرجل : ماذا عن سنة الجمعة ؟

قال ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين بعد الجمعة فى بيته .

قال الرجل : يا ابن عباس أرأيت الساعة التى ذكرها النبى عليه الصلاة والسلام فى الجمعة ؟ هل ذكر لكم منها ؟

قال عبد الله بن عباس : الله أعلم إن الله خلق آدم يوم الجمعة بعد العصر خلقه من أديم الأرض كلها فسمى آدم ألا ترى أن من ولده الأسود والأحمر والخبيث والطيب ؟ ثم عهد إليه فنسى الإنسان فبالله إن غابت الشمس من ذلك اليوم حتى هبط من الجنة .

قال رجل : فى دبر الصلوات الخمس نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين فما تفسير ذلك ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال عمر بن الخطاب لنا يوماً : أما الحمد لله فقد عرفناه فقد تحمد الخلائق بعضهم بعضا وأما لا إله إلا الله قد عرفناها فقد عبدت الآلهة من دون الله وأما الله أكبر فقد يكبر المصلى وأما سبحان الله فما هو ؟ فقال رجل من القوم : الله أعلم فقال عمر بن الخطاب : قد شقى عمر إن لم يكن يعلم أن الله أعلم فقال على بن أبى طالب : سبحان الله اسم ممنوع أن ينتحله أحد من الخلائق وإليه مفزع الخلق وأحب أن يقال له

فقال عمر بن الخطاب : هو كذلك .

قال رجل : يا ابن عباس لماذا سمى اليهود ؟

قال عبد الله بن عباس : لأنهم قالوا لله عزوجل : إنا هدنا إليك .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن أشراط الساعة .

قال ابن عباس : إن الساعة أعلاماً وإن الساعة أشراطاً حدثنها عنها النبي عليه الصلاة والسلام فقال : إذا رأيت الأمة قد ولدت ربها ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون بالبنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رءوس الناس فذاك من معالم الساعة وأشراطها .

ثم استطرد :

— قال النبي عليه الصلاة والسلام : لا تقوم الساعة حتى ترضح رءوس بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط .

ثم اعتدل ابن عباس فى جلسته وقال :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض .

ثم قال :

— قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع فيها قوم دينهم بعرض الدنيا .

تساءل رجل : ماذا عن طلوع الشمس من مغربها يا أبا العباس ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلوع الفجر أمان لأمتى من طلوع الشمس من مغربها .

ثم قال : أول الآيات طلوع الشمس من مغربها[١].

قال الرجل : حدثنا عن غرف الجنة .

قال عبد الله بن عباس :

ـ قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن فى الجنة لغرفاً يرى من فى ظاهرها من فى باطنها ويرى من فى باطنها من فى ظاهرها لمن أطاب الكلام وأفشى السلام وصلى فى الليل والناس نيام ».

قال رجل : كيف نفوز بها يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : كنا جلوساً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علينا فرأينا اشراق وجهه فقال : أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة فقال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا كوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السماوات وما فى الأرض فقال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم فى الكفارات والدرجات والكفارات : المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الأقدام إلى الجماعات واسباغ الوضوء فى المكاره قال : صدقت يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون والدرجات : افشاء السلام وإطعام الطعام بالليل والناس نيام .

قال رجل : ماذا عن فضائل العلم يا أبا العباس ؟

قال ابن عباس : قلت يوماً للنبى عليه الصلاة والسلام : علمنى مما علمك الله يارسول الله فقال : ألا أعلمك خصلات ينفعك الله تعالى بهن ؟ قلت : بلى قال : عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه واللين أخوه والصبر أمير جنده . فقلت : زدنى يا نبى الله فقال : أقم الصلاة وأد الزكاة وصم رمضان وحج البيت وبر والديك وصل رحمك واقر الضيف وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وزل مع الحق حيث زال .

قال رجل : حدثنا بما سمعت عن جوامع المواعظ .

قال ابن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم على ما أسلف عند موته فإن ملاك الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة وإياكم والتسويف بالتوبة والغرة بحلم الله واعلموا أن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

ثم استطرد ابن عباس :

— قال الله تعالى : يا ابن آدم إن ذكرتني ذكرتك وإن نسيتني ذكرتك وإن أطعتني فاذهب حيث شئت مخلي توالينى وأواليك وتصافيني وأصافيك وتعرض عنى وأنا مقبل عليك ؟ من أوصل إليك الغذاء وأنت جنين فى بطن أمك ؟ لم أزل أدبر فيك تدبيراً حتى أنفذت إرادتى فيك فلما أخرجتك إلى الدنيا أكثرت معاصى ما هكذا جزاء من أحسن إليك .

كفكفف عبد الله بن عباس الدمع المنهمر من عينيه ثم قال :

— يقول الله عز وجل : يا ابن آدم أمرتك فتوانيت ونهيتك فتماديت وسترت عليك ففجرت وأعرضت عنك فما باليت يا من إذا مرض شكا وبكى وإذا عوفى تمرد وعصى يا من إذا دعاه العبيد غدا ولبى وإذا دعاه الجليل أعرض ونأى إن سألتنى أعطيتك وإن دعوتنى أجبتك وإن مرضت شفيتك وإن سلمت رزقتك وإن أقبلت قبلتك وإن تبت غفرت لك وأنا التواب الرحيم .

أغمض ابن عباس عينيه وكأنه يعانى ألماً ثم قال :

— قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن الله أعطى كل ذى حق حقه ألا إن الله فرض فرائض وسن سنناً وحد حدوداً وأحل حلالا وحرم حراماً

وشرع الدين فجعله سهلا سمحاً واسعاً ولم يجعله ضيقاً ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ومن نكث ذمته طلبته ومن نكث ذمتى خاصمته ومن خاصمته فلجت عليه (ظفرت وفزت عليه) ومن نكث ذمتى لم ينل شفاعتى ولم يرد على الحوض ألا إن الله لم يرخص فى القتل إلا ثلاثة : مرتد بعد إيمان أوزان بعد إحصان أو قاتل النفس فيقتل بقتله ألا هل بلغت ؟

ثم أردف :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه ونستنصره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفىء إلى أمر الله .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن عرى الإيمان .

قال عبد الله بن عباس : قال عليه الصلاة والسلام : أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله عز وجل .

ثم اعتدل فى جلسته وقال : نصحنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : زرفى الله فإن من زار فى الله شيعه سبعون ألف ملك .

ثم استطرد :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى جاساء يوم القيامة عن يمين العرش وكلتا يدى الله يمين على منابر من نور وجوههم من نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين هم المتحابون لجلال الله عزوجل ».

ثم ختم قوله عن عرى الإيمان فقال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟ النبى فى الجنة الصديق والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والرجل يزور أخاه فى ناحية

المصر (مصر بلد معروفة والمصر كل كورة يقسم الفيء والصدقات) لا يزوره إلا الله عز وجل .

تساءل رجل : يا أبا العباس ماذا عن حق الجار ؟

قال عبد الله بن عباس :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بمؤمن الذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه

ثم قال محذراً :

ـ قال النبى عليه الصلاة والسلام : لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة حائطه وإذا اختلفتم فى الطريق الميتاء (الميتاء : الموات الأرض التى لم تزرع ولم تعمر ولا جرى عليها ملك) فاجعلوها سبعة أذرع .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله ماذا تقول عن الهدية ؟

قال عبد الله بن عباس : أمرنا النبى عليه الصلاة والسلام فقال : تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة لأرزاقكم فى عاجل الخلف وجسيم الثواب يوم القيامة .

ثم قال وهو يشير بيده وكأنه أراد أن يحذر الناس :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الهدية تعور (تصيره أعور لا يبصر إلا بعين الرضى فقط وتعمى عين السخط) الحكيم . الهدية إلى الامام غلول .

ثم استطرد :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هممت أن لا أتهب (لا أقبل هدية إلا من هؤلاء لأنهم أصحاب مدن وقرى وهم أعرف بمكارم الأخلاق ولأن فى أخلاق البادية جفاء وذهاباً عن المروءة وطلباً للزيادة) هبة إلا من أنصارى أو قرشى أو ثقفى •

وسئل ابن عباس عن أول شىء خلقه الله فقال :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون . لما خلق الله القلم قال له : اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة .

ثم قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : خلق الله عزوجل الأرض يوم الأحد والإثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق الله فى أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات وفى الثانية ألقى الله الألفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة .

قال الرجل : عرض الله الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملها فكيف حملها الإنسان ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال الله عز وجل لآدم : ياآدم إنى عرضت الأمانة على السماوات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها ؟ قال : ومالى فيها ؟ قال : إن حملتها أجزت وإن ضيعتها عذبت فقال : قد حملتها بما فيها فلم يلبث فى الجنة ما بين الصلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها .

ثم تساءل ابن عباس : : ألا أحدثكم ببعض عظمة الله ؟

قالوا : بلى .

قال عبد الله بن عباس :

— قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذات ضحى ونحن جلوس فى مسجده : ألا أخبركم ببعض عظمة الله ؟ إن لله ملكاً من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه فى الأرض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا فى مثله من خليقة ربكم .

وسئل ابن عباس عن الرعد فقال :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله .

ثم استطرد : قال لنا النبي عليه الصلاة والسلام : إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا .

قال رجل : ياأبا العباس حدثنا بما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم عن السخاء والصدقة .

قال عبد الله بن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم .

ثم أردف : وأمرنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال : عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء وعليكم بصدقة السر فإنها نطفىء غضب الله عز وجل .

ثم تبسم ابن عباس وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا من إبليس فقال : إن ابليس يبعث أشد أصحابه وأقوى أصحابه إلى من يصنع المعروف فى ماله .

ثم استطرد : أتى سائل امرأة وفى فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث أن رزقت غلاماً فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله فخرجت تعدو فى أثر الذئب وهي تقول : ابنى ابنى فأمر الله ملكاً ألحق الذئب فخذ الصبي من فيه وقل لأمه : الله يقرئك السلام وقل : هذه لقمة بلقمة .

ثم تفرس ابن عباس فى وجوه الحاضرين وقال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : شاب سخي حسن الخلق أحب إلى الله تعالى من شيخ بخيل عابد سيء الخلق .

ثم أردف :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان فى حفظ من الله تعالى ما دام عليه منه خرقة .

ثم عاد يكفف الدمع المنهمر من عينيه وقال : من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه فقال بعض الصحابة : وإن كان غنياً يا رسول الله ؟ قال : وإن جاءكم على فرس ؟

قال رجل : هل كل معروف صدقة ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال النبي عليه الصلاة والسلام : كل معروف صدقة والدل على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان .

ثم استطرد :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى ابن آدم ستون وثلاثمائة مفصل على كل واحد منها كل يوم صدقة فالكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة والشربة من الماء يسقيها صدقة واماطة الأذى عن الطريق صدقة .

قال رجل : يا أبا العباس حدثنا عن خروج الدجال .

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : يخرج الدجال من يهودية أصبهان حتى يأتى الكوفة فيلحقه قوم من المدينة وقوم الطور وقوم من ذى يمن وقوم من قزوين قيل : يارسول الله وما قزوين ؟ قال : قوم يكونون بآخره يخرجون من الدنيا زهدا فيها يرد الله بهم قوماً من الكفر إلى الإيمان .

قال الرجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا بما سمعت عن وصفه .

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : رأيت الدجال أقمر هجانا ضخماً فيامانياً كأن شعر رأسه أغصان شجرة أعور كأن عينه كوكب الصبح أشبه بعبد العزى — رجل من خزاعة .

ثم استطرد عبد الله بن عباس : فقال رجل للنبي عليه الصلاة والسلام : زدنا يا رسول الله فقال : الدجال جعد هجان أقمر كأن رأسه غصن شجرة مطموس عينيه اليسرى والأخرى كأنها عنبة طافئة أشبه للناس به عبد العزى بن قطن فأما هلك الهلك فإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور .

ثم قال ابن عباس : فعاد الرجل يطلب مزيداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الدجال فيلمانياً أقمر هجانا إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب درى كأن شعرات رأسه أغصان شجرة ورأيت عيسى شاباً أبيض جسد الرأس حديد البصر مبطن الخلق ورأيت موسى أشحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ونظرت إلى ابراهيم فلا أنظر إلى أرب منه إلا نظرت إليه منى كأنه صاحبكم فقال جبريل : سلم على مالك فسلمت عليه .

وتساءل عبد الله بن عباس : هل تعلمون الدجالين الثلاثة ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : أحذركم الدجالين الثلاثة : قيل : يارسول الله قد أخبرتنا عن الدجال الأعور وعن أكذب الكذابين فمن الثالث ؟ قال : رجل يخرج من قوم أولهم مثبور وآخرهم مثبور عليهم اللعنة دائبة فى فتنة يقال لها الحارقة وهو الدجال الأكلس يأكل عباد الله .

قال رجل : حدثنا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل صيام رمضان .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الجنة لتجند (تتزين) وتتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها : المثيرة تصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه فتبرز الحور العين ويقفن بين شرف الجنة فيقلن : هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن : يا رضوان ما هذه الليلة ؟ فيجيبهم بالتلبية فيقول : يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة أحمد ويقول تعالى : يا رضوان افتح أبواب الجنان . يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد . يا جبريل

ناهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلهم بالأغلال ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم . ويقول الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرات : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ من يقرض الملى غير المعدوم الوفى غير الظلوم ؟ ولله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فإذا كان ليلة الجمعة أعتق فى كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب فإذا كان آخر يوم فى شهر رمضان أعتق الله تعالى فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره فإذا كان ليلة القدر أمر الله تعالى جبريل فيهبط فى كبكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر فيركزه على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا فى ليلة القدر فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب ويبث جبريل الملائكة فى هذه الأمة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصلى وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر نادى جبريل يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون : يا جبريل ما صنع الله تعالى فى حوائج المؤمنين من أمة أحمد ؟ فيقول : إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة : رجل مدمن خمر وعاق والديه وقاطع رحم ومشاحن وهو المصارم . فإذا كان ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة فإذا كان غداة الفطر يبعث الله تعالى الملائكة فى كل البلاد فيهبطون إلى الأرض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة أحمد أخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر العظيم فإذا برزوا فى مصلاهم يقول الله تعالى للملائكة : يا ملائكتى ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : جزاؤه أن يوفى أجره فيقول : فإنى أشهدكم أنى جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى ويقول : يا عبادى سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم شيئاً فى جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم وعزتى لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتمونى وعزتى لا أخزينكم ولا أفضحنكم بين يدى أصحاب الحدود

انصرفوا مغفور لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطى الله تعالى هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان .

كفكف ابن عباس مجرى الدمع من خديه اللذين صارا مثل الشراك البالى من البكاء واستطرد :

— عن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : يقول الله تعالى : كل عمل ابن آدم هو له غير الصيام هو لى وأنا أجزى به والصيام جنة للعبد المؤمن يوم القيامة كما يقى أحدكم سلاحه فى الدنيا ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصائم يفرح فرحتين حين يفطر فيطعم ويشرب وحين يلقانى فأدخله الجنة .

ثم أردف :

— قال النبي عليه الصلاة والسلام : من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ثم سكت وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يوضع للصائمين مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون .

ثم أشار ابن عباس نحو الرجل الذى اشتكى الجوع والفقر وقال :

— من فطر صائماً فله مثل أجره فقلنا : مثل أجره يا رسول الله ؟ قال : مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء .

فتساءل الرجل الذى اشتكى الجوع والفقر : ومتى نصوم يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين .

قال الرجل : هل نقدم الشهر بصيام يوم أو يومين ؟

قال عبد الله بن عباس : حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين إلا أن يكون شىء يصومه أحدكم

لا تصوموا حتى تروه (الهلال) ثم صوموا حتى تروه فإن حال دونه غمام فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا والشهر تسع وعشرون .

ثم عاد ابن عباس يقول : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لرجل من الأعراب : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا العدة عدة شعبان ولا تستقبلوا الشهر استقبالا ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان .

تساءل رجل : يا ابن عم رسول الله مات أبي وعليه صيام شهر فهل أصوم عنه ؟

قال عبد الله بن عباس : جاء رجل النبي عليه الصلاة والسلام فقال له : يارسول الله ماتت أمي وعليها صيام أفأقضيه عنها ؟ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت لو كان على أمك دين أكنت تقضيه عنها ؟ قال الرجل : نعم قال النبي عليه الصلاة والسلام : فدين الله أحق أن يقضى .

فقال رجل : وماذا عن السحور ؟

قال ابن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استعينوا بطعام السحور على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل السحور أكل بركة فلا تدعوه ولو أن
النهار وبالقيلولة على قيام الليل . السحور أكل بركة فلا تدعوه ولو أن
تجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين .

ثم عاد الرجل يتساءل : وماذا عن الاعتكاف يا أبا العباس ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه .

ثم أردف : قال النبي عليه الصلاة والسلام : المعتكف يعكف

(يحبس وا عتكاف فى المسجد وهو الاحتباس) الذنوب ويجرى له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها».

ثم ختم ابن عباس قوله عن الاعتكاف فقال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشرين سنه ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله عز وجل جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين (الخافقان أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما) ».

وسئل عبد الله بن عباس : من أول من عاذ بالكعبة ؟

قال ابن عباس : اول من عاذ بالكعبة حوت صغير خاف من حوت كبير فعاذ منه بالبيت أيام الطوفان .

وقيل لعبد الله بن عباس : يا سبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الأرض (كان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام يتخذ الهدهد دليلا على الماء فكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء فى الزجاجة) ولا يرى الفخ ؟

قال عبد الله بن عباس : إذا وقع القضاء عمى البصر .

وقال رجل : يا ابن عم رسول الله لكل نبى شهوة كان للنبى عليه الصلاة والسلام شهوة ؟

قال عبد الله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ذات يوم والناس حوله فقال : إن لكل نبى شهوة وان شهوتى فى قيام الليل إذا قمت فلا يصلين أحد خلفى وان الله جعل لكل نبى طعمة وان طعمتى هذا الخمس فإذا قضيت فهو لولاة الأمر بعد بعدى ».

وطلب رجل من ابن عباس أن يعلمه الصلاة فقال له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اسلم الرجل كان أول ما يعلمه الصلاة . وأخذ عمر بن الخطاب بيدى فعلمنى التشهد وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده فعلمه التشهد : التحيات لله الصلوات الطيبات المباركات لله . .

وسئل ابن عبـــاس عن مجالس العلم ومجالسة العلماء فقال :

— قيل : يارسول الله اى جلسائنا خير قال : من ذكركم الله رؤيته وزاد فى علمكم منطقة وذكركم بالآخرة عمله .

وقيل لابن عباس (وهو أعمى) : إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر .

فقال عبد الله بن عباس : دلونى عليه .

فقالوا : وما تصنع به يا أبا عباس ؟

قال ابن عباس : والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضن انفه حتى أقطعه ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج تصطفق (تتحرك) الياتهن (اعجازهن) مشركات هذا أول شرك هذه الأمة والذى نفسى بيده لينتهى بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً .

وقال عبد الله بن عباس : جاء رجل إلى النبى عليه الصلاة والسلام يكلمه فى بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اجعلتنى لله عدلا ؟ بل شاء الله وحده .

وسئل ابن عباس عن اذكار التسبيح والتحميد والتهليل فقال :

— ممن قال : بسم الله فقد ذكر الله ومن قال : الحمد لله فقد شكر الله ومن قال : الله اكبر فقد عظم الله ومن قال : لا إله إلا الله فقد وحد الله ومن قال : لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بهاء وكنز فى الجنة .

قال رجل لابن عباس : هل يرى الإنسان الملائكة ؟

قال عبد الله بن عباس : عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا

من الأنصار فلما دنا من منزله سمعه يتكلم فى الداخل فلما استأذن عليه دخل فلم ير احداً فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : سمعتك تكلم غيرك فقال : يا رسول الله لودخلت الداخل اغتماماً من كلام الناس مماتى من الحمى فدخل على رجل ما رايت رجلا بعدك أكرم مجلساً ولا احسن حديثاً منه قال : ذاك جبريل وان منكم لرجالا لو أن أحدكم اقسم على الله لأبره »

فعاد الرجل يسأل : يا ابى عم رسول الله ماذا عن تحريم تصوير الحيوان فى بساط ؟

قال عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه فى جهنم »

ثم استطرد : فإن كنت لا بد فاعلا (لا محالة) فاصنع الشجر وما لا روح فيه .

ثم أردف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صور صورة (من ذوات الأرواح) فى الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ .

فقال الرجل : ماذا عن اتيان الكهان (من يخبر عن المغيبات) والمنجمين ؟

قال عبد الله بن عباس :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتبس علماً من النجوم (ما ينشأ من الحوادث عن مسيرها اما علم المشاهدة كالزوال والقبلة فيجوز (اقتبس شعبة من السحر (من العراف والمنجم) »

وسئل ابن عباس عن الكذب فقال :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تحلم (كذب بما لم يره فى منامه) بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل (طال عذابه) ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى اذنيه الأنوك (الرصاص المصهور) يوم القيامة .

وسأل رجل عبد الله بن عباس : ماذا تقول فى الحياء ؟

قال ابن عباس : أقول ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء .

فعاد الرجل يتساءل : كيف أكون اقوى الناس ؟

قال عبد الله بن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب ان يكون اغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه . ألا أنبئكم بشراركم ؟ فقالوا : نعم يا رسول الله قال : من اكل وحده ومنع رفده وجلد عبده . أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يارسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه قال : أفأنبكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يارسول الله قال : من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً ولا يؤمن شره . إن عيسى بن مريم قام فى بنى اسرائيل خطيباً فقال : يا بنى اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموها وقال مرة فتظلموهم ولا تظلموا ظالباً ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم يا بنى اسرائيل الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله تعالى .

ويقول عبد الله بن عباس : قال لى أبو ذر الغفارى : يا ابن اخى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بيده فقال لى : يا أبا ذر ما أحب أن لى أحدا (جبل أحد) ذهبا وفضة أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه قيراطاً قلت : يا رسول الله قنطاراً قال : يا أبا ذر أذهب إلى الأقل وتذهب إلى الأكثر أريد الآخرة وتريد الدنيا ؟ قيراطاً فأعادها على ثلاث مرات . .

وسئل ابن عباس عن صدقة تطفىء حر النار فقال : أتى النبي عليه

الصلاة والسلام رجل فقال : ما عمل إن عملت به دخلت الجنة ؟ قال : أنت ببلد يجلب به الماء ؟ قال : نعم قال : فاشتر بها سقاء جديداً ثم اسق فيها حتى تخرقها فإنك لن تخرقها حتى تبلغ بها عمل الجنة .

وسأل رجل بن عباس عن فضل صوم يوم حار ففال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى الأشعرى على سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة إذ هاتف يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبرا قال : إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله فى يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة . . فكان أبو موسى الأشعرى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان ينسلخ فيه حراً فيصومه .

وقال أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوم الأربعاء والخميس كتبت له براءة من النار .

واستطرد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له بيتاً فى الجنة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره .

وسأل رجل ابن عباس فقال : هل يصوم المسافر إذا كان يشق عليه ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

ثم أردف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استعينوا بطعام السحور على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل .

ثم قال الرجل : وماذا عن صدقة الفطر ؟

قال عبد الله بن عباس : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمسكين فمن أداها قبل الصلاة

فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقة .

وسئل ابن عباس عن المثلة بالحيوان فقال : مر النبى عليه الصلاة والسلام على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها فقال : أفلا قبل هذا أو تريد أن تميتها موتات ؟

ثم استطرد صلى الله عليه وسلم : هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها ؟

وسأل رجل ابن عباس : يا أبا عباس كم أتية أتى آدم عليه الصلاة البيت ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آدم أتى البيت ألف أتية لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه .

ثم أردف ناصحاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعجلوا إلى الحج (يعنى الفريضة) فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له .

وسئل ابن عباس عن أداء الزكاة فقال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : من أقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت وصام رمضان وقرى الضيف دخل الجنة .

وقال رجل : يا أبا عباس ماذا عن المسألة ؟

قال عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سأل الناس فى غير فاقة نزلت به أو عيال لايطيقهم جاء يوم القيامة بوجه ليس عليه لحم .

ثم أضاف قائلا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فتح على نفسه باب مسألة من غير فاقة نزلت به أو عيال لا يطيقهم فتح الله عليه باب فاقة من حيث لا يحتسب .

ثم قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك .

ثم اعتدل ابن عباس فى جلسته وقال : قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده بصدقة إلا القيت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ولا فتح عبد باب مسألة له عنها غنى إلا فتح الله له باب فقر .

ثم عاد يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنظر معسر إلى ميسرة أنظره الله بذنبه إلى توبته .

وسئل ابن عباس عن اتباع الكتاب والسنة فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد .

ثم أردف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى حجة الوداع فقال : إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم (اعتصمتم) به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن سماع الحديث وتبليغه .

قال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم ارحم خلفائى قلنا : يارسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمون الناس .

قال الرجل : ومن تعلم علماً لغير الله تعالى ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أناساً من أمتى سيفقهون فى الدين يقرؤون القرآن يقولون نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتز لهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد (شجر له شوك) إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلا . . . (كأنه يعنى الخطايا) .

وقال رجل : يا ابن عم رسول الله ما عقاب من كتم علماً ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صل الله عليه وسلم :

من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ومن قال فى القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار .

ثم استطرد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بمكة من الليل اللهم هل بلغت ثلاث مرات فقام عمر بن الخطاب وكان أواها (المتأوه المتضرع وقيل هو كثير البكاء أو كثير الدعاء) فقال : اللهم نعم وحرضت وجهدت ونصحت فقال : ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى موطنه ولتخاضن البحار بالإسلام وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرءونه ثم يقولون : قد قرأنا وعلمنا فمن ذا الذى هو خير منا فهل فى أولئك من خير ؟ قالوا : يا رسول الله من أولئك ؟ قال : أولئك منكم وأولئك هم وقود النار .

وسئل ابن عباس عن فضل الصف الأول فى الصلاة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا رجل أم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط (لعدم إطاعتها إياه فيما أراد منها) وأخوان متصارمان (متقاطعان فوق ثلاث) .

ثم أردف : قال النبى عليه الصلاة والسلام : خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة .

ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذى أحداً أضعف الله له أجراً الصف الأول .

ثم استطرد : قال النبى عليه الصلاة والسلام : من عمر جانب المسجد الأيسر لقلة أهله فله أجران .

قال رجل : يا ابن عباس حدثنا عن عدم إتمام الركوع والسجود وما جاء فى الخشوع .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت

مصراً على معتصيتى وفطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل. والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى أجعل له فى لظلمة نورا وفى الجهالة حلما ومثاه فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة .

ثم أردف : قال النبي عليه الصلاة والسلام : مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن الحجر الأسود .

قال بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته حطايا بنى آدم .

ثم عاد الرجل يتساءل : ماذا عن ماء زمزم ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم.

وسئل ابن عباس عن الشهادة وفضل الشهداء فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا .

وسئل عبد الله بن عباس عن فضل اكثار الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال : جزى الله عنا محمدا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح .

وقال رجل لابن عباس : ماذا عن السواك وفضله ؟

قال عبد الله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك .

ثم أردف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن أصلى ركعتين بسواك أحب إلى من أن أصلى سبعين ركعة بغير سواك .

ثم عاد الرجل يتساءل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن الآذان وما جاء فى فضله ؟

قال عبد الله بن عباس : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى أو دلنى على عمل يدخلنى الجنه قال : كن مؤذناً قال : لا أستطيع قال : كن إماماً قال : لا أستطيع قال : قم بإزاء الإمام .

قال الرجل : يا أبا عباس وماذا عن أسباغ الوضوء ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على كل ميسم (عضو) من الإنسان صلاة كل يوم فقال رجل من القوم : هذا من أشد ما أنبأتنا فقال : أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة وحلمك على الضعيف صلاة وانحاؤك القذر عن الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة .

وسئل ابن عباس عن فضل قيام الليل فقال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغب فيها حتى قال : عليكم بصلاة الليل ولو ركعة .

ثم استطرد : قال النبي عليه الصلاة والسلام : أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل .

وسأل رجل ابن عباس فقال : يا ابن عم رسول الله ما العلم الذى لا ينفع ؟

قال ابن عباس : دخل النبي عليه الصلاة والسلام المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال : وما هذا ؟ قالوا : يارسول الله رجل علامة قال : وما العلامة ؟ قالوا : أعلم الناس بأنساب العرب وأعلم الناس بعربية وأعلم الناس بشعر وأعلم الناس بما اختلفت فيه العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر .

وترك ابن عباس الناس وقام يصلى فجاء رجل فقال : هل من مفت ؟

فقال مجاهد (تلميذ ابن عباس) : سل .

فقال الرجل : إنى كلما بلت تبعه الماء الدافق .

فقال مجاهد : الذى يكون منه الولد ؟

قال الرجل : نعم

فقال مجاهد : عليك الغسل .

فولى الرجل . وعجل عبد الله بن عباس فى صلاته فلما سلم قال لمولاه :

— يا عكرمة على بالرجل .

فأتاه به فقال عبد الله بن عباس لتلاميذه (طاوس وعكرمة ومجاهد) :

— أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله ؟

قالوا : لا .

فتساءل ابن عباس : فمن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لا .

فقال ابن عباس : فعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لا .

فعاد عبد الله بن عباس يتساءل : فعن من ؟

قالوا : عن رأينا .

قال ابن عباس : لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

ثم أقبل على الرجل فقال له : أرأيت إذا كان منك هل تجد شهوة فى قلبك ؟

قال الرجل : لا .

قال عبد الله بن عباس : فهل تجد خدراً فى جسدك ؟

قال الرجل : لا .

قال ابن عباس : إنما هذا بردة يجزيك منه الوضوء .

وسأل مجاهد ابن عباس عن فضل الصمت فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خمس لهن أحسن من الدرهم الموقفة لاتكلم فى ما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فى ما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه فى غير موضعه فيعيب ولا تمار حليما ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك وان السفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه بما تحب أن يعفيك واعمل عمل رجل يرى أنه مجاز بالإحسان مأخوذ بالإجرام .

قال رجل : وماذا عن زكاة الفطر يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : صدقة الفطر عن كل صغير وكبير ذكر وأنثى يهودى أو نصرانى حر ومملوك نصف صاع من با أ وصاعاً من تمر أو صاعاً من شعير ».

فتساءل الرجل : وما فضل زكاة الفطر هذه يا ابن العباس ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى وزكاة ومن أداها بعد الصلاة (صلاة الفطر (فهى صدقة من الصدقات ».

قال رجل : ماذا عن صيام النفل ؟

قال ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الصائم بعد رمضان كالكار (الكر يعنى الرجوع) بعد الفار (الهرب) .

ثم أردف : قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن من أفضل الصيام صيام أخى داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

فتساءل رجل : لماذا سمى أيام ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة من كل شهر بالأيام البيض ؟

قال عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

إنما سمى بالبيض لأن آدم لما هبط إلى الأرض أحرقته الشمس فأسود فأوحى الله تعالى إليه أن صم البيض فصام أول يوم فابيض ثلث جسده فلما صام اليوم الثانى ابيض ثلثا جسده فلما صام اليوم الثالث ابيض جسده كله فسمى أيام البيض .

قال رجل : ماذا عن صيام يوم عاشوراء ؟

قال ابن عباس : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أناساً من اليهود يتخذونه عيداً ويصومونه فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم نجب الله نبي اسرائيل (موسى بن عمران) من عدوهم (فرعون) فصامه موسى . فقال النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه : نحن أحق بصومه . خالفوهم وصوموا أنتم . لئن بقيت أمرت بصيام يوم قبله أو يوم بعده يوم عاشوراء .

فتساءل الرجل عن فضل يوم عاشوراء فقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن نوحاً هبط من السفينة على الجودى يوم عاشوراء فصام نوح وأمر من معه بصيامه شكراً لله تعالى وفى يوم عاشوراء تاب الله على آدم وعلى أهل مدينة يونس وفيه فاق البحر لبنى اسرائيل وفيه ولد ابراهيم وابن مريم .

تساءل رجل : يا ابن عم رسول الله هل هناك صوم أيام التشريق ؟

قال عبد الله بن عباس : أرسل النبي عليه الصلاة والسلام أيام منى بديل بن ورقاء الخزاعى يصيح : لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب .

قال الرجل الذى كان اشتكى الجوع والفقر : حدثنا عن الدعاء يرحمكم الله يا ابن عم رسول الله .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة .

ثم مسح عينيه اللتين غزتهما حمرة وقال : سمعت النبى عليه الصلا والسلام يقول : الدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة .

قال الرجل : كيف ندعوا يا بن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : إذا دعوت فادع ببطن كفيك ولا تدع بظهرهما وإذا فرغت فامسح بهما وجهك .

فقال الرجل مستفسراً : كيف يا ابن عم نبى الرحمة ؟

قال ابن عباس : رآنى النبى عليه الصلاة والسلام وأنا أرفع يدى بعد أن انتهيت من صلاتى فقال لى : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك والاستغفار أن تشير باصبع واحد والابتهال أن تمد يديك جميعاً .

قال الرجل : مرنا بدعاء يا ابن عم رسول الله .

قال عبد الله بن عباس : قال أبى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله مرنى بدعاء فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يا عباس أنت عمى وإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

تساءل رجل : ما هى محظورات الدعاء ؟

قال ابن عباس : سألت أم المؤمنين أم سلمة النبى عليه الصلاة عن محظورات الدعاء فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون .

ثم أغمض عبد الله بن عباس عينيه وقال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : لا تدعوا بالموت ولا تتمنوه فمن كان داعياً لابد فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً وتوفنى إذا كانت الوفاه خيراً لى .

قال رجل : حدثنا عن الدعوات التى لا ترد زادك الله علماً يا أبا العباس

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس دعوات يستجاب لهن : دعوة المظلوم حتى ينتصر . ودعوة الحاج حتى يصدر (يرجع) . ودعوة الغازى حتى يقفل . ودعوة المريض حتى يبرأ (يشفى) . ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب (غائب لغائب) . وأسرع هذه الدعوات إجابة دعوة الأخ بظهر الغيب .

ثم سكت ابن عباس . . وأردف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب : دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب .

ثم تساءل عبد الله بن عباس : أتدرون ما هى كلمات الفرج ؟

قالوا : لا . . زدنا علماً زادك الله علماً وإيماناً .

قال عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كلمات الفرج : لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم .

ثم استطرد : قال لنا النبى عليه الصلاة والسلام : يا بنى عبد المطلب : إذا نزل بكم كرب أو جهد أو لأواء فقولوا : الله الله ربنا لاشريك له .

تساءل رجل : إذا صلينا ماذا نقول ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الصفة (فقراء المسلمين الذين كانوا لا يملكون مأوى ولا طعاماً فى المدينة) : إذا صليتم فقولوا : سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة والله أكبر أربعا وثلاثين مرة ولا إله إلا الله عشر مرات فإنكم تدركون به من سبقكم ولا يسبقكم من بعدكم »

ثم عاد ابن عباس فتساءل : هل تعرفون جوامع الأدعية ؟

فسكتوا وقلبوا أيديهم فقال عبد الله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

اللهم إنى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء .

اللهم أعطنى إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة .

اللهم إنى أسألك الفوز فى القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء .

اللهم إنى أنزل بك حاجتى وان قصر رأبى وضعف عملى افتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضى الأمور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور (دعوة الهلاك كأن نكون من مظلوم) ومن فتنة القبور .

اللهم ما قصر عنه رابى ولم تبلغه نيتى ولم تبلغه مسألتى من خير وعدته أحداً من خلقك أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك فإنى أرغب إليك فيه واسألك برحمتك رب العالمين .

اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك وعدواً لأعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادى بعداوتك من خالفك .

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان .

اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى ونوراً فى قبرى ونوراً من بين يدى ونوراً خلفى ونوراً عن شمالى ونوراً فوقى ونوراً من تحتى ونوراً فى سمعى ونوراً فى بصرى ونوراً فى شعرى ونوراً فى بشرى ونوراً فى لحمى ونوراً فى دمى ونوراً فى عظامى .

اللهم اعظم لى نوراً واعطنى نوراً واجعل لى نوراً . سبحان الله الذى تعطف (اتصف) بالعز وقال به سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى المجد والكرم سبحان ذى الجلال والإكرام .

ثم مسح ابن عباس الدمع الذى ملأ عينيه وأردف : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول :

— اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى لا يخفى عليك شىء من امرى وانا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم (ذل وانقاد حتى مس التراب الذى هو الرغام) لك انفه .

اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا وكن بى رءوفاً ياخير المسئولين ويا خير المعطين .

ثم قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت . اللهم إنى أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى القيوم الذى لا يموت والجن والإنس يموتون .

قال رجل : ماذا عن الإيمان بالقدر ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : قال تعالى : من لم يرض بقضائى وقدرى فليلتمس رباً غيرى .

ثم تبسم ابن عباس وقال : كان رجل ممن كان قبلكم يكذب بالقدر وكان مسيئاً إلى امرأته (سياق العبارة يقتضى أنه كان محسناً إلى زوجه) فخرج إلى الجبانة فوجد قحف رأس مكتوب عليه : يحرق ثم يذرى فى الريح . فأخذه فى سفط ودفعه إلى امرأته ثم أحسن إليها ثم سافر فجاءها

جاراتها فقلن : يا أم فلان بم كان يحسن زوجك الصنيعة إليك ؟ هل استودعك شيئاً ؟ فقالت : نعم هذا السفط . قلن : فإن فيه رأس خليلة له . فقامت غيورة مغضبة حتى فتحته فإذا فيه قحف رأس . قلن : تدرين يا أم فلان ماذا تصنعين به (قحف رأس) ؟ احرقيه ثم ذريه فى الريح ، ففعلت . فلما قدم زوجها من سفره — وهى مغضبة — فقال لها : ما فعل السفط ؟ فحدثته بالحديث فقال : آمنت بالله وصدقت بالقدر .

فضحك الناس فقال ابن عباس : كان رجل فيمن كان قبلكم عبد الله تعالى ثمانين سنة ثم أنه أخطأ خطيئة خاف منها على نفسه فأتى الفيافى فناداها : أيتها الفيافى الكثيرة رمالها الكثيرة عضاهها (شجر له شوك) الكثيرة دوابها الكثيرة تلاعها (التلعة ما ارتفع من الأرض وما انهبط) هل فيك مكان يوارينى من ربى عز وجل ؟ فأجابته الفيافى بإذن الله — : يا هذا والله ما فى نبت ولا شجر إلا وملك موكل به فكيف أواريك عن الله تعالى ؟ فأتى البحر فقال : أيها البحر الغزير ماؤه الكثير حيتانه هل فيك مكان يوارينى من ربى عز وجل ؟ فأجابه — بإذن الله — فقال : يا هذا والله ما فى حصاة ولا دابة إلا وبها ملك موكل فكيف أواريك عن الله عز وجل ؟ فأتى الجبال فقال : يا أيتها الجبال الشوامخ فى السماء الكثيرة غيرانها هل فيك مكان يوارينى من ربى عز وجل ؟ فقالت الجبال — بإذن الله — ما فينا من حصاة ولا غار إلا وملك موكل به فأين أواريك ؟ فأقام يتعبد هناك ويلتمس التوبة حتى حضره الموت فبكى فقال : يارب اقبض روحى فى الأرواح وجسدى فى الأجساد ولا تبعثنى يوم القيامة .

ثم قال ابن عباس : لوددت أن عندى رجلا من أهل القدر فوجأت (الوجاء رض عروق البيضتين حتى تنفضخ) رأسه .

قال الناس : ولم ذاك ؟

قال عبد الله بن عباس :

— لأن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء

قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ستين وثلثمائة نظرة يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء .

قال رجل : حدثنا عن صفات المنافقين .

قال ابن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان .

ثم أردف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين لما عاد من غزوة تبوك فقال : احذروا اصفر الوجوه فإنه ان يكن من علة أو سهر فإنه من غل فى قلوبهم للمسلمين .

فقال الرجل الذى اشتكى الجوع والفقر : حدثنا عن الاحتكام بالكتاب والسنة .

قال ابن عباس : من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله يقول : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

ثم قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحج الأكبر : يا أيها الناس إنى تارك (تركت) فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه .

ثم استطرد : قال النبي عليه الصلاة والسلام : كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط .

ثم تبسم ابن عباس وقال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فى مسجده فقال لنا : سيد بنى داراً واتخذ مأدبة وبعث داعياً فالسيد الجبار والمأدبة القرآن والدار الجنة والداعى أنا فانا اسمى فى القرآن محمد وفى الإنجيل أحمد وفى التوراة أحيد وإنما سميت أحيد لأنى أحيد عن أمتى جهنم فأحبوا العرب بكل قلوبكم .

فتساءل رجل : وماذا عن البدع ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهل البدع شر الخلق والخليقة .

ثم قال وهو يشير بيده نحو السماء : قال النبي عليه الصلاة والسلام : أبى الله أن يقبل عملَ صاحب بدعة حتى يدع بدعته .

ثم أردف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث حدثا أو آوى محدثا أو ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة (اللعنة الطرد من رحمة الله) الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا .

قال رجل : ماذا عن زمزم يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جبريل لما ركض (حرك رجله) زمزم بعقبه جعلت أم اسماعيل (هاجر) تجمع البطحاء رحم الله هاجر لوتركتها كانت عيناً معينا .

ثم قال ابن عباس : يوم الفتح الأعظم طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذنوبا (دلوا) من ماء زمزم فلما أحضر له قال :

— ماء زمزم لما شرب له إن شربته لتستشفى به شفاك الله وان شربته ليشبعك أشبعك الله وان شربته ليقطع ظمأك قطعه الله وهى هزمة (ضربة) جبريل وسقيا اسماعيل .

ثم نظر ابن عباس نحو الرجل الذى سأله عن صفات المنافقين وقال : آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون (الضلع أى الميل والجنف) من زمزم .

قال رجل : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن القصاص .

قال عبد الله بن عباس : لما مرض النبي عليه الصلاة والسلام جاءه أخى الفضل وأبى العباس فطلب منهما النبي عليه الصلاة والسلام أن يأخذا بيده حتى جاس على المنبر ثم قال لأبى : ناد فى الناس . فاجتمعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم ولعله أن يكون قد قرب منى خفوت (حركة وقرب ارتحال يريد الانذار بموت النبى عليه الصلاة والسلام) من بين أظهركم فأيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئاً فهذا عرضى فليقتص وأيما رجل كنت أصبت من ماله شيئاً فهذا مالى فليأخذ وأعلموا أن أولادكم بى رجل كان له من ذلك شيء فأخذه أوحللنى فلقيت ربى وأنا محلل لى ولا يقولن رجل : إنى أخاف العداوة والشحناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهما ليستا من طبيعتى ولا من خلقى ومن غلبته نفس على شيء فليستعن بى حتى أدعو له ».

ثم قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده .

ثم اعتدل فى جلسته وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه ».

ثم استطرد وهو يشير بيديه : يقول الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم : يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول : يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ حتى يدنيه من العرش ».

فتساءل الرجل : وقاتل نفسه ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ (يضرب) بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه (يتجرعه) فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا .

قال الرجل : وقتل المؤذيات ؟

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة من الدواب لا يقتلن : النملة والنحلة والهدهد والصرد .

ثم استطرد : قال النبي عليه الصلاة والسلام : الحيات مسخ الجن صورة كما مسخت القردة والخنازير من بنى اسرائيل .

فقال رجل : نقتلها ؟

قال ابن عباس : نعم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى الصلاة .

قال رجل : حدثنا عن الرؤيا .

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة .

ثم أضاف : نادى مناد رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوما فأقبلوا فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء .

فتساءل الرجل : والحلم ؟

قال عبد الله بن عباس : الحلم من الشيطان .

قال الرجل : ماذا نفعل إذا رأينا رؤيا نكرهها ؟

قال ابن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذى كان عليه فإنها لا تضره إن شاء الله .

قال رجل : حدثنا يا أبا العباس عن يوم ينادى المنادى .

قال عبد الله بن عباس : يوم ينادى مناد بين يدى الساعة : أتتكم الساعة أتتكم الساعة . حتى يسمعها كل حى وميت فينادى المنادى : لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار .

قال الرجل : كيف يحشر الناس يا أبا العباس ؟

قال عبد الله بن عباس : الحشر نوعان أحدهما قبل الموت والثانى بعد الموت وقد سأل المقداد بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحشر فقال : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه (الأزار) ومنهم من يلجمه العرق إلجاما .

ثم أردف : قال النبي عليه الصلاة والسلام :

يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا « كما بدأنا أول خلق نعيده » ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم . ألا وإنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابى فقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول : كما قال العبد الصالح « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت الرقيب عليهم » فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم .

قال عكرمة : يا ابن عم رسول الله حدثنا ماذا قال الله عز وجل لإبليس لما أمره بالهبوط إلى الأرض .

قال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : قال ابليس لربه : يارب أهبط آدم وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسل فما كتابهم ورسلهم ؟ قال : رسلهم الملائكة والنبيون منهم وكتبهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال : كتابك الوشم وقرآنك الشعر ورسلك الكهانة وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه وشرابك كل مسكر وصدقك الكذب وبيتك الحمام ومصايدك النساء ومؤذنك المزمار ومسجدك الأسواق .

فقال عكرمة : يا أبا العباس حدثنا عن مخالفة أمر الله من أوليائه .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان لهارون ولدان يخدمان المسجد ويسرجان قناديله من نار تأتيهما من

السماء وإن النار تأخرت ذات ليلة عن وقتها التى كانت تأتيه فية فأسرج الغلامان تلك القناديل من نار فجاءت النار من السماء فوقعت عليهما فقام هارون ليطفىء عن ولديه تلك النار فصاح موسى : كف عن ذلك ودع أمر الله ينفذ فيهما فأوحى الله عز وجل إلى موسى : هذا فعلى لمن خالف أمرى من أوليائى فكيف بمن خالف أمرى من أعدائى ؟

قال رجل : من هم شر الناس ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً : ألا أنبئكم بشراركم ؟ إن شراركم الذى ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ الذين يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ من يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ من لايرجى خيره ولا يؤمن شره .

وقال عبد الله بن عباس : قال النبى عليه الصلاة والسلام : من أعان ظالماً بباطله ليدحض بباطله حقاً فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله ومن مشى إلى سلطان الله فى الأرض ليذله أذل الله رقبته مع ما يدخر له من الخزى يوم القيامة وسلطان الله فى الأرض كتاب الله وسنة نبيه ومن ولى ولياً من المسلمين شيئاً من أمور المسلمين وهو يعلم أن فى المسلمين من هو خير للمسلمين منه وأعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين ومن ولى شيئاً من أمور المسلمين لم ينظر الله له فى شىء من أموره حتى يقوم بأمورهم ويقضى حوائجهم ومن أكل درهماً من ربا فهو كآثم ستة وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به .

ثم استطرد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ليبيتن أناس على أمتى على أشر وبطر ولعب ولهو فيصبحون قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير .

ثم سكت ابن عباس وقال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : شر الناس ثلاثة : متكبر على والديه يحقرهما ورجل سعى فى فساد بين الناس بالكذب حتى يتباغضوا ويتباعدوا ورجل سعى بين رجل وامرأة بالكذب حتى يغيره عليها بغير الحق حتى فرق بينهما ثم يخلفه عليها من بعده .

قال طاوس : يا أبا العباس حدثنا عن أخلاق قوم لوط .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشرة من أخلاق قوم لوط : الخذف (بالحصى الرمى به بالأصابع) فى النادى ومضغ العلك (الذى يمضغ) والسواك على ظهر الطريق والصفير والحمام والجلاهق (البندق الذى يرمى به) والعمامة التى لا يتاحى بها والسبتية (جلود البقر المدبوغة بالقرظ يتخذ منها النعال (والتطريف بالحناء وحل أزرار الأقبية والمشى بالأسواق والأفخاذ بادية .

ثم قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله من والى غير مواليه لعن الله من غير تخوم الأرض لعن الله من كمه أعمى عن الطريق ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من وقع على بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط .

قال رجل : وماذا عن شرب الخمر ؟

قال عبد الله بن عباس : إن الشراب كانوا يضربون فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام بالأيدى والنعال والعصى حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا فى خلافة أبى بكر أكثر منهم فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام فقال أبو بكر : لوفرضنا لهم حداً فتوخى (تحرى وقصد) نحواً مما كانوا يضربون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبوبكر يجلدهم أربعين حتى توفى ثم كان عمر من بعده فجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين (قدامة بن مظعون) فشرب فأمر به أن يجلد فقال : لم تجلدنى ؟ بينى وبينك كتاب الله فقال عمر : وفى أى كتاب تجد أن لا أجلدك ؟ فقال : إن الله تعالى يقول فى كتابه « ليس على

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد فقال عمر : ألا تردون عليه ما يقول ؟ فقال ابن عباس : إن هذه الآية أنزلت عذراً للماضين وحجة على الباقين فعذر الماضين أنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر وحجة على الباقين لأن الله تعالى قال : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا فإن الله قد نهى أن تشرب الخمر فقال عمر : صدقت فماذا ترون ؟ قال على بن أبي طالب : نرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون جلدة . . فأمر عمر فجلد ثمانين ».

ثم قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : من شرب حسوة (ملء الفم) من خمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفاً ولا عدلا ومن شرب كأساً لم يقبل الله منه أربعين صباحاً ولمدمن الخمر حق على الله أن يسقيه من نهر الخبال قيل : يارسول الله : ما نهر الخبال ؟ قال : صديد أهل النار ».

ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شرب الخمر كان نجساً أربعين يوماً فإن تاب منها تاب الله عليه وإن عاد نجساً أربعين يوماً فإن تاب منها تاب الله عليه فإن ربع كان حقاً على الله أن يسقيه من ردغة الخبال ».

قال رجل : ماذا عن الحلال والحرام ؟

قال عبد الله بن عباس : قال النبي عليه الصلاة والسلام : الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فمن رتع فيهن فمن (بفتح القاف والميم أى حقيق وجدير) أن يأثم ومن اجتنبهن فهو أرفق بدينه كالمرتع إلى جانب حمى ومن أرتع إلى جانب حمى يوشك أن يقع فيه ولكل حمى وحمى الله فى الأرض الحرام .

قال طاوس : يا ابن عم رسول الله حدثنا عن النذر .

قال عبد الله بن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النذر نذران فما كان لله فكفارته الوفاء به وما كان للشيطان فلا وفاء له وعليه كفارة يمين .

ثم اعتدل ابن عباس فى جلسته وقال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلا قائماً فى الشمس فقال له : ما شأنك ؟ قال : نذرت أن لا أزال قائماً فى الشمس حتى تفرغ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس هذا بنذر إنما النذر ما ابتغى به وجه الله .

قال طاوس : هل يجوز النذر عن الأم ؟

قال عبد الله بن عباس : سأل عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذر كان على أمه ماتت قبل أن تقضيه فأمره بقضائه وقال : اقض عنها .

قال طاوس : وماذا عن نقض النذر ؟

قال عبد الله بن عباس : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة بإنسان يقود إنساناً بخزامه فى أنفه فقطعها النبى عليه الصلاة والسلام بيده ثم قال له : قده بيده .

ثم قال : نذر رجل أن يمشى إلى مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يمشى فإذا أعيا ركب فإذا كان عاما قابلا مشى ما ركب وركب ما مشى ونحر بدنة .

وسأل رجل عن الجهاد فقال عبد الله بن عباس : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تجيء مسجداً فتتعلم فيه القرآن والفقه فى الدين وأنتفل أيضاً من نوافل العبادة . تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

فتساءل رجلان : ماذا عن الشفاعة يا ابن عم رسول الله ؟

قال عبد الله بن عباس : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشفاعة فقال : يوضع للأنبياء منابر من ذهب يجاسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائماً بين يدى ربى عز وجل منتصباً بأمتى مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول : يا ربى أمتى أمتى فيقول الله تعالى : ما تريد أن أصنع بأمتك يا محمد ؟ فأقول : يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيجاسون فنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى فلا أزال أشفع حتى أعطى صكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن خازن النار يقول : يا محمد ما تركت لغضب ربك فى أمتك من نعمة ؟

قال رجل : هل يرى أحد الله سبحانه وتعالى ؟

قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : يا موسى لن ترانى إنه لن يرانى حى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم

قال الرجل الذى اشتكى الجوع والفقر : حدثنا يا أبا العباس عن فاكهة الجنة .

تبسم عبد الله بن عباس وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نخل الجنة جذوعها ذهب أحمر وكرنفها (أصل السعفة الغليظة) زمرد أخضر وسعفها (أغصان النخيل) الحلل وثمرها مثال القلال ألين من الزبد ليس له عجم (نوى) .

رأى ابن عباس أحد الحاضرين يداعب درهماً بأنمله فقال : لما ضرب الدينار والدرهم أخذه ابليس فوضعه على عينيه وقال : أنت ثمرة قلبى وقرة عينى بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك .

● ★ ●

من صور فقهه :

الوضوء والصلاة :

يرى عبد الله بن عباس إذا أصابت المتوضىء نجاسة لاتنقض الوضوء مما خرج من البدن وليس مما دخل .

ينكر ابن عباس من يتوضأ لكل صلاة من غير حدث .

لاينقض الوضوء بمس الذكر ويقول ابن عباس : لو أعلمه نجساً لقطعته .

لاينقض الوضوء بالنوم الخفيف كأن يخفق فى رأسه خفقة .

لا ينقض الوضوء بلمس المرأة ويقول : ما أبالى قبلتها أو شممت ريحانا .

يجوز الوضوء من فضل ماء وضوء المرأة وكذلك من فضل ماء غسل الحائض .

لا ينبغى للجنب عند الاغتسال أن يدخل فى الماء إنما عليه أن يغترف ويصب الماء على جسده وإن سال من جسده شىء إلى الماء لم يؤثر عليه .

عرق الجنب طاهر .

لا ينجس الثوب إذا أصابه المنى .

يكره الصلاة مع مدافعة الغائط أو البول .

لا يؤم الغلام حتى يحتلم .

لا يجوز ترك صلاة الجماعة إلا بعذر .

يجوز للمسافر أن يؤخر المغرب إلى العشاء .

لا تصل صلاة حتى تقرأ فاتحة الكتاب فى كل ركعة .

يرى من السنة وضع الأليتين على العقبين بين السجدتين .

لا يجوز للمسافر سفراً قريباً أن يقصر الصلاة .

المرأة تؤم النساء وتقف وسطهن .

لا يصلى قبل صلاة العيد ولا بعدها .

القـــرآن :

القراءة القليلة المرتلة أفضل من القراءة الكثيرة بدون ترتيل .

يجوز لغير المتوضىء أن يقرأ القرآن .

فى القرآن إحدى عشرة سجدة .

غسيل الميت :

لا يجب الغسل على من غسل ميتاً .

أحق الناس بالصلاة على المرأة زوجها .

الـــزكاة :

لا تعط زكاة مالك لمن تعوله أى لمن تنفق عليه .

الصـــوم :

إذا شك فى طلوع الفجر يمكنك أن تأكل وتشرب حتى تستيقن .

إذا تمضمض الصائم المتطوع فدخل الماء جوفه فعليه القضاء .

أذن للشيخ الصائم أن يقبل ونهى الشاب .

لا بأس بالسواك للصائم .

تفطر الحامل والمرضع فى رمضان وتقضيان ولا تطعمان .

لا يجوز (لا يحل) للمرأة أن تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها .

لا اعتكاف إلا بصيام .

الحـــج :

يقول عند استلام الحجر الأسود : اللهم إيفاء بعهدك وتصديقاً بكتابك واتباع سنة نبيك .

إذا وجدت على الركن — أى الحجر الأسود — زحاماً فلا تؤذ أحداً وامض .

للطائف أن يقطع طوافه غير أنه لا ينصرف إلا على وتر ثلاث أوخمس ،

النكاح والطلاق :

لاحد لأقل المهر .

لابد فى عقد النكاح من أربعة : خاطب وولى وشاهدين .

الشرط فى عقد النكاح لا يؤثر على صحته .

إذا طلق الرابعة من نسائه فلا يتزوج حتى تنتهى عدة المطلقة .

المرأة الحامل إذا طلقت تنقضى عدتها بوضع حملها .

طلاق المرأة ثلاثا قبل الدخول بها يحرمها فلا تحل حتى تنكح زوجاً غيره .

إذا تزوجت المطلقة انهدم طلاقها الأول وتحتسب لها إذا رجعت إلى زوجها الأول طلاق جديد بنكاح جديد .

طلاق الثلاث دفعة واحدة يقع ثلاثا وتحرم الزوجة .

طلاق الكره لا يقع .

عدة الحامل المتوفى عنها زوجها آخر الأجلين .

المسح على الخفين :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امسحوا على الخفين والخمار .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا أدخل أحدكم رجليه فى خفيه وهما طاهران فليمسح عليهما ثلاثا للمسافر ويوماً للمقيم .

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم : إذا توضأ أحدكم ولبس خفيه فليصل فيهما وليمسح عليهما ثم لا يخلعهما إن شاء إلا من جنابة .

إلا أن ابن عباس لا يرى مشروعية المسح على الخفين ويقول : هل مسح النبي عليه الصلاة والسلام قبل نزول سورة المائدة أو بعد المائدة ؟ وعلى هذا يرى ابن عباس أن آية الوضوء فى سورة المائدة ناسخة للمسح على الخفين . . ثم رجع عن رأيه ورأى أن المسح على الخفين جائز فى السفر البعيد والبرد الشديد .

نـــكاح المتعـــة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إنى كنت قد أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله تعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث .

فقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة بشىء من المال معين مدة معينة ينتهى النكاح بانتهائها من غير طلاق . إلا أن ابن عباس رأى حل نكاح المتعة ثم رجع عن رأيه وقال :

— إنما كانت المتعة فى أول الإسلام .

الجمع فى الحضر بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء :

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة ولكن للعلماء فيما رواه عبد الله بن عباس تأويلات ومذاهب إلا أن أفضلها هو الجمع الصورى بأن يكون أخر الظهر إلى آخر وقتها وعجل العصر فى أول وقتها .

وقام الناس وتلاميذ ابن عباس فرحين مستبشرين لقد وجدوا عنده علماً نافعاً ولم لا ؟ فحينما تشرق التقوى فى قلب العبد يصبح المعبود جل جلاله ناصراً له وظهيراً وقد دعا النبى عليه الصلاة والسلام لابن عمه بالحكمة مرتين فلم يستوحش فى نفسه إلى مسئلة أحد من الناس .

قال ابن عباس لأبى صالح : أخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل .

فخرج أبو صالح فآذنهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة .. فسأله رجل عن الشعر فقال ابن عباس

— الشعر ديوان العرب .

وما سأله أحد عن شيء إلا أخبره به وزاده مثله .

فقال أبو صالح :

— والله لو أن قريشا فخرت بذلك لكنت فخراً لها فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .

وفاء عبد الله بن عباس :

أتى خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصارى الذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بداره لما هاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها حتى بنى صلى الله عليه وسلم مسجده وحجراته) معاوية بن أبى سفيان فشكا إليه وأخبره أن عليه ديناً فلم ير منه ما يحب (كان أبو أيوب مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما وقعت الفتنة الكبرى بينه وبين معاوية) ورأى ما يكرهه فقال لمعاوية :

— سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنكم (يعنى صلى الله عليه وسلم أصحابه) سترون بعدى اثرة .

فتساءل معاوية : فأى شيء قال لكم ؟

قال أبو أيوب الأنصارى : قال عليه الصلاة والسلام : اصبروا .

قال معاوية : فاصبروا .

فقال أبو أيوب وهو يغادر قصر معاوية : والله لا أسألك شيئاً أبدا .

وقدم أبو أيوب على عبد الله بن عباس ففرغ له بيته وقال : والله لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمر ابن عباس أهله فخرجوا وقال لخالد بن زيد : لك ما فى البيت كله .

وأعطى أبا أيوب أربعين ألفاً وعشرين مملوكاً .

وأقبل حذيفة بن اليمان فلما رأى مجلس عبد الله بن عباس وهو يفقه الناس قال كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— إذا ملك الخلافة بنوك لم تزل الخلافة فيهم حتى يدفعونها إلى عيسى بن مريم .

ثم نظر حذيفة إلى ابن عباس وقد ارتدى ثوباً اشتراه بألف درهم فقال له : يا أبا العباس أراك دائماً تهتم بمظهرك .

فقال عبد الله بن عباس : يا أبا عبد الله إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

فقد بصره :

أصيب عبد الله بن عباس فوقع فى عينه الماء فقال له الطبيب : ننزع من عينيك الماء على أن لا تصلى سبعة أيام إلا على عود (إلا مستقيما) .

فقال ابن عباس : لا والله ولا ركعة واحدة إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله وهو عليه غضبان . فأصيبت إحدى عينيه فنحل جسده ، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه . وحين عمى فأنشد :

إن يأخذ الله من عينى نورهما ... فنى لسانى وسمعى منهما نور
قلبى ذكر وعقلى غير ذى دخل ... وفى فمى صارم كالسيف مأثور

فى عهد يزيد بن معاوية :

لما مات معاوية بن أبى سفيان بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه فكثرت رسائل أهل العراق إلى الحسين بن على بن أبى طالب يدعونه فيها إليهم ويعاهدونه على القيام بنصرته ويبايعونه على ذلك . فلما رأى الحسين ذلك عزم على الخروج إلى العراق فلما بلغ ذلك عبد الله بن عباس انطلق إليه فقد كان يحترم ويعظم أولاد على بن أبى طالب رغم أنه كان أكبر منهم سناً .

فقال للحسين : بلغنى أنك تريد الخروج لقتال يزيد بن معاوية ؟

قال الحسين بن على : نعم .

فقال عبد الله بن عباس : يا ابن عم أنى أتصبر ولا أصبر إنى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم أقم فى هذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم وإلا فر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً ولأبيك بها شيعة وكن عن الناس فى معزل واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم فإنى أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب .

فقال الحسين بن على : يا ابن عم والله إنى لأعلم أنك ناصح شفيق ولكنى أزمعت السير .

فنهاه عبد الله بن عباس أشد النهى فقد كان يؤثر السلام على القتال والرفق على العنف والمنطق على السيف . . ولكن الحسين بن على أبى إلا الخروج فتعلق ابن عباس بثياب الحسين (كان ضريراً) وقال :

— فإن كنت لا بد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك فوالله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه .

ولكن الحسين بن على صمم على الخروج رغم نصح ودمع ابن عباس فقال محذراً :

— تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطاً وملالة لهم أذكرك الله أن تغرر بنفسك لا تبرح الحرم فإنهم إن كانت بهم إليك حاجة فسيضربون إليك آباط الإبل حتى يوافوك فتخرج فى قوة وعدة .

ولكن أهل العراق برسائلهم ووعودهم إلى الحسين جعلوه لم يسمع لنصائح ابن عباس أو عبد الله بن عمر أو أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وسار إليهم .

وعلم عبد الله بن عباس أن قوماً عند باب بنى سهم يختصمون فى القدر فنهض إليهم وأعطى محجنه (عصا معقوفة) عكرمة ووضع إحدى يديه عليه والأخرى على طاوس فلما انتهى إليهم أوسعوا له ورحبوا به فلم يجلس وقال لهم :

— انسبوا لى أعرفكم .

فانتسبوا له — أو انسب منهم — فقال عبد الله بن عباس : أو ما علمتم أن لله تعالى عبادا أصمتهم خشيته من غير بكم ولاعى وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء العلماء بأيام الله عز وجل غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عز وجل طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع المفرطين وإنهم لأكياس أقوياء ومع الظالمين الخاطئين وإنهم لأبرار براء إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالأعمال . فلما رأى ابن عباس القوم مهتدين مشفقين وجلين خائفين . . انصرف عنهم ورجع إلى داره .

ولما بلغ عبد الله بن عباس موت الحسين بن على فى كربلاء حزن حزناً شديداً عليه فهل رأى المأساة بعين بصيرته قبل وقوعها ؟ أم هذا تأويل رؤياه ؟ لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئاً فقال :

— يارسول الله ما هذا ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم

فحفظ من سمع رؤيا ابن عباس ذلك اليوم فوجدوه قتل ذلك اليوم ،

ومنذ ذلك الحين لزم ابن عباس بيته .

بيعة عبد الله بن الزبير بالحجاز :

بايع الناس معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بالشام بعد وفاة أبيه يزيد بن معاوية بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بن العوام بالحجاز ، فجعل عبد الله بن عباس داره مجلساً للعلم .

وولى عبد الله بن الزبير عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهرى مصر وأخرج مروان بن الحكم إلى الشام .

ومر عبد الله بن صفوان بن أمية يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة فرأى جماعة من طالبي الفقه ومر بدار عبيد الله بن عباس فرأى فيها جماعة ينتابونها للطعام فدخل على عبد الله بن الزبير فقال له :

— أصبحت والله كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيـام قارعة | لم نبك منك على دنيا ولا دين

فتساءل ابن الزبير : وما ذاك يا أعرج ؟

قال عبد الله بن صفوان : هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما أبقيا لك مكرمة .

فدعا عبد الله بن الزبير عبد الله بن مطيع وقال له :انطلق إلى ابني عباس فقل لهما : يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عني أنتما ومن أصغى إليكما من أهل العراق وإلا فعلت وفعلت .

فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير : يأتينا من الناس إلا رجلان : رجل يطلب فقهاً ورجل يطلب فضلا فأى هذين تمنع ؟ وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى فجعل يقول :

لا در در الليالى كيف تضحكنا | منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من عبر | فى ابن الزبير عن الدنيا تسلينـا
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا | فقها ويكسبنا أجرا ويهدينـا
ولا يزال عبيد الله مترعـة | جفانه مطعما ضيفاً ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بـدارهما | ننال منها الذى نبغى إذا شينا
إن النبي هو النور الذى كشطت | به عمايات ماضينا وبـاقينـا
ورهطه عصمـة فى دينه لهـم | فضل علينا وحق واجب فينا
ففيم تمنعنا منهـم وتمنعهـم | منـا وتؤذيهم فينا وتؤذينـا
ولست بأولاهـم بـه رحمـا | يا ابن الزبير ولا أولى به دينا
لن يؤتى الله انسانـا يبغضهم | فى الدين عزا ولا فى الأرض تمكينا

الفتنة بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير :

لما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ارتحل عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية (ابن على بن أبى طالب) بأولادهم ونسائهم حتى نزلوا مكة فبعث عبد الله بن الزبير إليهما يبايعان فأبيا وقالا :

— أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك .

فأبى عبد الله بن الزبير وألح عليهما إلحاحاً شديداً .. ثم لجأ إلى التهديد فقال : — أولاحرقنكم بالنار .

فبعث عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية أبا الطفيل عامر بن واثلة الكنانى إلى شيعتهم بالكوفة وقالا : إنه لا نأمن هذا الرجل (يعنيان عبد الله ابن الزبير) .

فانتدب أبو الطفيل أربعة آلاف فدخلوا مكة فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وعبد الله بن الزبير فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة (تعلق بأستار الكعبة) وقال : أنا عائذ بالبيت .

ومال الناس إلى عبد الله بن عباس وابن الحنفية وأصحابهما وهم فى دور قريب من المسجد قد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رءوس الجدر لو أن ناراً تقع فيه ما رؤى منهم أحد .

الخروج إلى الطائف :

أخر أبو الطفيل ومن معه الحطب عن الأبواب وقالوا لابن عباس :

— ذرنا نريح الناس منه (يعنون يقتلون ابن الزبير) .

قال عبد الله بن عباس : لا هذا بلد حرام حرمه الله ما أحله الله عز وجل لأحد إلا للنبى صلى الله عليه وسلم ساعة .. فأمنعونا وأجيرونا »

فخرجوا إلى الطائف فلما علم أهل الطائف بمقدم ابن عباس أقبلوا على مجلسه ليفقههم فى دينهم فسأله سائل عن قوله تعالى : « ما يعلمهم إلا قليل » . فقال ابن عباس : أنا من أولئك القليل وهم سبعة .

ثم أردف :

— من قال بسم الله فقد ذكر الله ومن قال : الحمد لله فقد شكر الله ومن قال : الله أكبر فقد عظم الله ومن قال : لا إله إلا الله فقد وحد الله ومن قال : لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بهاء وكنز فى الجنة .

وتغدى عبد الله بن عباس عند محمد بن الحنفية . . فقال ابن الحنفية :

— يا ابن عم رسول الله وقعت على خواننا جرادة .

فقال ابن عباس لفتاه : عكرمة .

فقال عكرمة : لبيك .

قال ابن عباس : هذا مكتوب عليها بالسريانية : أنا الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى الجراد جند من جندى أسلطه على من أشاء من عبادى (أصيب به من أشاب من عبادى) .

زوجة عبد الله بن عباس :

تزوج عبد الله بن عباس زرعة بنت مسرح بن معدى كرب .

أولاده :

كان له من الولد : العباس وعلى (كان يدعى السجاد لكثرة صلاته وكان أجمل قرشى على وجه الأرض وقد قيل إنه يصلى كل يوم ألف ركعة مع الجمال والتمام وهو أبو الخلفاء العباسيين) ومحمد والفضل وعبدالله وأسماء .

موالى عبد الله بن عباس :

وكان له من الموالى : عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة وقيق وأبو عمرة وأبو عبيد .

وفاته والمعجزة :

لما حضرته الوفاة قال ابن عباس لأهله :

— إنى أموت فى خير عصابة على وجه الأرض أحبهم إلى الله وأكرمهم عليه وأقربهم إلى الله زلفى فإن مت فأنتم هم .

فما لبث عبد الله بن عباس إلا ثمانى ليال بعد هذا القول وصعدت روحه إلى بارئها سنة ثمان وستين من الهجرة وهو ابن أربع وسبعين سنة . فلما أدرج فى أكفانه انقض طائر أبيض لم ير مثل خلقته فدخل فى أكفانه والتف بها فقالوا : هذا عمله .

وطلب الطائر الأبيض فلم يوجد وعادوا يلتمسونه فلم يوجد فقال عكرمة مولى ابن عباس .

— أحمقى أنتم ؟ هذا بصره الذى وعده النبى عليه الصلاة والسلام أن يرد عليه يوم وفاته .

وصلى عليه محمد بن الحنفية وكبر عليه أربعا وقال .

— اليوم مات ربانى هــذا الأمــة .

ولما أتوا بابن عباس القبر ووضع فى لحده تلقى بكلمة (سمعوا صوتاً ولم يروا صاحبه) سمعها من كان على شفير القبر :

« يا أيتها النفس المطمئنــة » .

ارجعى إلى ربك راضيــة مرضيــة .

فادخلى فى عبــادى .

وادخلى جنــتى » .

ولما بلغ الصحابى الجليل جابر بن عبد الله نبأ موت ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال :

— مات أعلم النــاس وأحلم الناس ولقد أصيبت بــه هذه الأمة مصيبة لاتــرفق .

وقال الصحابى الجليل : رافع بن خديج :

— مات اليوم من كان يحتــاج إليه من بين المشرق والمغرب فى العــلم .

● ★ ●

فهرس

الصفحة

المـــــراجع

تفسير القرآن	ابن كثير
صحيح البخـــارى	
صحيح مسلم	
البداية والنهـــاية	ابن كثير
الطبقات الكبرى	ابن سعد كاتب الواقدى
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب	ابن عبد البـــر
كنز العمـــال	الهنـــدى
الإصابة فى تميز الصحابة	ابن حجر العسقلانى
الكامل فى التاريخ	ابن الأثـــير
أسد االغابة فى معرفة الصحابة	ابن الأثـــير
حلية لأولياء	أبو نعيم الأصبهانى
صحابة رسول الله	عبد العزيز الشناوى
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم الأندلسى
السيرة النبوية	ابن هشام
حياة الصحابة	محمد يوسف الكاند هلوى
تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلانى
السيرة الحلبية	على بن برهما الحلبى
سنن بن ماجه	
سنن الترمـــذى	
سنن أبى داود	
مسند الإمـــام أحمد	
نساء الصحابة	عبد العزيز الشناوى

كتب صدرت للمؤلف

صحابة رسول الله مواقف ومواعظ — أربعة أجزاء دار الفكر العربي

نفدت الطبعة الأولى

نساء الصحـــابة دار التراث الإسلامي

نفدت الطبعة الأولى

أهل الجنة صحابة رسول الله دار البشير

قصص من السيرة النبوية دار الفكر العربي

مصعب بن عمير أول سفير لرسول الله دار الفكر العربي

فقهاء الصحابة : ١ — عبد الله بن عباس ترجمان القرآن دار الفكر العربي

أبو ذر الغفارى دار الفكر العربي.

تحت الطبع :

فقهاء الصحابة : ٢ — عبد الله بن عمر .

٣ — عبد الله بن مسعود . ٤ — الحسن بن على .

صحابة رسول الله مواقف ومواعظ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

فرسان الإسلام أصحاب رسول الله

العشرة المبشرون بالجنة مكتبة التراث الإسلامي

عائشة أم المؤمنين البكاءون صحابة رسول الله

قصص للأطفـــال :

قصص من السيرة النبوية قصص من القرآن والسنة

قصص للطفل المسلم

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٢٣٩٨

الترقيم الدولى : ٢—٠٣٣٧—١٠—٩٧٧

طبع بمطابع الدجوى — القاهرة عابدين